الحياة الزوجية
بين
الطّلاق النّفسي والطّلاق الشّرعي

الجزء الأول

محمد محفوض

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)
٢٥٤,٢
م ٣٢ ح

الحياة الزوجية

بين
الطّلاق النّفسي والطّلاق الشّرعي

الجزء الأول

محمد محفوض

صمم الغلاف : الفنان بسام عيسى

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مطبعة الفردوس

١٩٨٥ / ٥٠٠٠

الاهداء

الى أولادي ثائر ، فـداء ، يسار ، نداء
كبرياء ، مجـد .

الى كل زوجين اختارا بعضهما بعضا ولم
تخترهما الظروف .

الى كل شاب وفتاة يرفضان أن تصادر
حرية اختيار حياتهما الزوجية .

الى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب ...

محمد محفوض

بطاقــة شكر

الى كل من التقيتهم في الميدان الاجتماعي وأطلعوني على معاناتهم موضوع هذا الكتاب .

الى أصدقائي الذين هيأوا لي لقاءات مع عينـــات اجتماعية مهمة للبحث وأحاطوني برعايتهم .

أتوجه اليهم بالشكر والتقدير والاحترام .

مقدمة

الزواج علاقة انسانية راقية بين المرأة والرجل يحقق الهدوء والارتياح النفسي ، والمتعة الجنسية الضرورية للجنسين • والزواج نظام أقره المجتمع والقانون والاديان لتكوين الاسرة وانجاب الاطفال وتطور نظام الزواج ترافق مع تطور الوعي الانساني ، وأصبح نظام الزواج الاحادي أكثر الاشكال السائدة في المجتمعات الانسانية وأكثرها نجاعة •

والطلاق قرار أقرته الاديان السماوية والمجتمعات البشرية ، وحددت الشروط الواجب توافرها لانفصال الزوج والزوجة عن بعضهما بعضا ، والغاء العقد بينهما ، اما بطلب من الزوج أو الزوجة شريطة الزام الطرف الذي يطلب الغاء العقد بدفع الالتزامات المنصوص عليها في العقد والقانون الشرعي •

قبل الزواج وبعده عوامل كثيرة تلعب دورا مهما في حدوث الطلاق الشرعي أو عدم حدوثه ويأتي في مقدمة هذه العوامل حرية

اختيار الزوج لزوجته وحرية اختيار الزوجة لزوجها ، أو مصادرة هذه الحرية من قبل أهل الزوج أو الزوجة . ويأتي في مقدمة هذه العوامل الوعي القادر على الاختيار سواء أكان هذا الوعي وعي الاهل أو وعي الزوج أو الزوجة . وبين حرية اختيار ومصادرة هذه الحرية ، وبين الوعي القادر على الاختيار واللاوعي تتوافر عوامل جديدة متناقضة . عوامل تهيىء كل شروط نجاح الحياة الزوجية واستمراريتها ، وعوامل تهيىء كل الشروط لتدمير العلاقة الداخلية بين الزوج والزوجة .

في الحالة الاولى يكون الانعكاس ايجابيا على حياة الزوج والزوجة ، وأطفالهما وأهلهما ووسطهما الاجتماعي . وفي الحالة الثانية يكون الانعكاس سلبيا على حياة الزوج والزوجة وأطفالهما وأهلهما ووسطهما الاجتماعي . في الحالة الثانية تكون الاحتمالات كثيرة ، فاما أن يتم الطلاق الشرعي ، أو أن يتزوج الزوج امرأة ثانية . ـ هذا في المجتمعات التي تسمح قوانينها بتعدد الزوجات ـ . أو ان تحصل الخيانة الزوجية أو الرضوخ للامر الواقع ويعيش الزوجان حياتهما الملأى بالقهر والالم النفسي الدائم .

مصادرة حرية الابن في اختيار زوجته ومصادرة حرية البنت في اختيار زوجها تعني صنع قنبلة موقوتة معرضة للانفجار ، وتدمير الاسرة المكونة المفروضة من قبل الاهل . لكن ذلك لا يعني أن تحقق حرية الاختيار والوعي القادر على الاختيار يضمن استمرارية الحياة الزوجية ، وتأدية وظائفها الطبيعية والاجتماعية . صحيح أن نظام الزواج يحقق الوظيفة الاجتماعية في تكوين الاسرة وانجاب الاطفال وتحديد صلة الرحم وتكوين المجتمع وتنظيمه على طريق تقسيم العمل بين أفراده وتأمين حاجة الافراد من مأكل ومسكن وملبس وكل ما يوفر لهم التطور والرقي .

لكن الاصح أن نظام الزواج الهادف يحقق الاستمتاع باللذة الجنسية ، والارتياح النفسي بالطريقة التي يقرها المجتمع والقوانين الناظمة له لم يثبت مقدرته على الرغم مما بذل من جهود في هذا الاتجاه. فالعلاقات اللامشروعة قائمة في المجتمع بين الشباب والفتيات ، وبين الرجال والنساء . بين الشاب والمرأة المتزوجة وبين المتزوج والفتاة على الرغم من اقتناع الجميع بضرورة الوظيفة الاجتماعية للزواج ، وعلى الرغم من قناعة الجميع أيضا بأن نظام الزواج هو أرقى الاشكال وأهمها في تنظيم العلاقة الجنسية بين الذكر والانثى . وهو من أهم الوسائل لتحقيق الاستمتاع باللذة الجنسية ، ومع كل هذا فالعلاقة الجنسية بين الذكر والانثى ، ما تزال مدار بحث ونقاش ومحاولات ايجاد العوامل الموضوعية التي توفر للحياة لزوجية الهدوء والاستقرار والاستمرارية والالتزام ، والتقليل من الخيانة الزوجية كما تسمى .

نسأل زوجا ما هل أنت الذي اخترت زوجتك عن قناعة منك ؟ ومن دون أن تؤثر في اختيارك عوامل سلبية فيجب بالنعم . وهل زوجتك اختارتك عن قناعة منها ؟ من دون أن تؤثر في اختيارها عوامل سلبية ؟ يجيب بالنعم أيضا . وهل يسود حياتكما التفاهم والمودة ؟ ويجيب بالنعم أيضا . ثم نسأل السؤال الاهم . هل لك علاقات جنسية مع غير زوجتك فيجيب بالنعم ! ثم نسأل : ولماذا ؟ فيقول رغبة ذاتية واستمتاع جنسي لا تحققه الزوجة . تتابع الاسئلة . من تقوم بينك وبينها علاقة جنسية تفوق زوجتك جمالا ؟ يقول : لا بالعكس ، قد تكون زوجتي هي الافضل . وما مسوغ هذه العلاقة اذن ؟ يجيب اذا كنت تبحث عن اجابة منطقية ، فأنا لا استطيع الاجابة . أما اذا كنت تبحث عن توافر الرغبة ، والشعور بالحاجة فالرغبة والشعور بالحاجة موجودتان عندي ، ولا يمنعني من تحقيقهما الا خوفي من

نظرة المجتمع الي اذا ما اكتشف افراد المجتمع علاقاتي اللامشروعة • واذا كان هذا الزوج الذي اختار زوجته عن قناعة منه فماذا تقول عن الزوج الذي اختيرت له زوجته ؟! أو الزوجة التي لم يكن لها الرأي في اختيار زوجها • نسأل الزوجة الاسئلة نفسها اما أن تمتنع عن الاجابة ، واما ان تكون اجاباتها منسجمة مع العادات والتقاليد والشريعة •

وجهت هذه الاسئلة لمئات من الرجال يمثلون مختلف الشرائح الاجتماعية من اميين ومثقفين وأنصاف مثقفين محافظين ومتحررين • فكانت نسبة الاجابة التي مع اقامة علاقة مع غير الزوجة . أكثر من ٨٠٪ بينما كانت الاجابات التي حصلت عليها من النساء اللواتي يرفضن اقامة علاقات لا شرعية ، تشكل نسبة تقترب من ١٠٠٪ب١٠٠٪ اجابات النساء لها ما يسوغها وان كانت تفتقر للموضوعية من منطلق القهر الذي عانته المرأة تاريخيا وما تزال تعانيه : أولا لعدم تحررها اقتصاديا • ثانيا : لان الرجل ما يزال يعتبرها جزءا من ملكيته • ثالثا : لانها اذا ما سلكت الطرق اللامشروعة ، ومارست قناعاتها ، فمصيرها الطلاق الذي يحاصرها اجتماعيا • ولان الظروف المتاحة للرجال والحقوق المتمتعين بها ما تزال المرأة مفتقرة لها ، وممنوعة عليها •

اجابات النساء تفتقر للموضوعية ، لان ما نراه في الواقع الاجتماعي يؤكد أن العلاقات اللامشروعة التي تقيمها النساء موجودة فعلا وموجودة بنسبة عالية ايضا . وان كانت تقل عن النسبة التي أكدها الرجال • والا فهل كل العلاقات التي يقيمها الرجال هي مع الفتيات ، والنساء اللواتي من دون أزواج •

بالتأكيد ان لكل ما عرضناه أسبابه الموضوعية ، وهذا ما بحثناه في بعض فصول هذا الكتاب • أما الذي تأكدنا منه فعلا ، فهو أنه

الذين يعانون الطلاق النفسي يشكلون نسبة مرتفعة جدا . وهـذه المعاناة تشمل الازواج والزوجات . وهذه النسبة تؤكد ضرورة البحث الدائم في الاسباب التي تولد الطلاق النفسي . هذا الطلاق الذي يولد بدوره الطلاق الشرعي . وما دام الطلاق الشرعي يمثل ظاهرة بارزة في حياة الشعوب على الرغم من القيود التي تفرضهـا الاديان والعادات والتقاليد والقيم الاخلاقية ، فان البحث في الاسباب أصبـح ضرورة تمليها الحياة نفسها . وذلك لما يتركه الطلاق النفسي والطلاق الشرعي من آثار سلبية على حياة الاسرة والمجتمع ، يفوق في أهميته أهميـة وضرورة تنظيم الزواج على طريق تأدية وظيفة الزواج الاجتماعية . ان المساهمة التي أقدمها على طريق البحث في الاسباب المولدة للطلاق النفسي والطلاق الشرعي أعتبرها مدخلا لمساهمات ، لا بـد مـن أن ينجزها المتخصصون بعلم الاجتماع وعلم النفس والفلسفة وعلم الحياة، لان حاجة الجنسين لبعضهما بعضا حاجة ضرورية لا يمكن للحياة أن تستمر من دون تحقيقها . واقتراب تحقق هذه الحاجة من الكمال ، يحتاج المزيد من البحث والتدقيق المتواصل الآخذ بعين الاعتبار ، تطور الوعي الانساني ، وما يفرزه هذا الوعي من قيـم ومبـادىء وأفكار جديدة تتعارض والعديد من القيم والمبادىء والافكار السائدة التـي أصبح بعضها يشكل عبئا ثقيلا على الحياة نفسها وبخاصة على العلاقة بين الجنسين وحرية اختيارهما بعضهما بعضا ، وضرورة ادراك كنه هذه الحرية ، والعلاقة بين هذه الحرية وحرية الانسان في ممارسة قناعاتـه وانعكاسات هذه الممارسة على المجتمع الذي هو في خدمة الفرد ،وعلى الفرد الذي هو في خدمة المجتمع سلبا وايجابا ، والتبشـير بأفضـل الحلول وأنجعها .

في المجتمعات البورجوازية تكثر حـالات الخيانة الزوجيـة ،

وترتفع نسبة الطلاق على الرغم من الحرية المزورة التـي يتاجر بهـا أصحاب رأس المال • وفي المجتمعات المحافظة تكثر الخيانات الزوجية على الرغم ما الاهمية الخاصة للمسألة الدينية التي تحرم الخيانـة الزوجية والزنى • وفي المجتمعات الاشتراكية ، وعلى الرغم ما تأمين العمل للجميع ، وحرية الاختيار فان الطلاق الشرعي موجود بنسبـة تزيد عن الطلاق النفسي • والعلاقات الجنسية اللاشرعيـة منتشـرة انتشارها واسع • والنتيجة التي يمكن استخلاصها أن الاخـلاق الجنسية كما يسميها (برتراند راسل) تتعارض ومفهوم الالتزام كما نفهمه • فهو يعارض اغتصاب الجسد فقط ، ويعتبره اعتداء مثل أي اعتداء يتعرض له الفرد والمجتمع • وهو مع أية علاقة جنسية بين ذكر وأنثى شريطة أن تكون هذه العلاقة تتويجا لرغبة الطرفين •

والنتيجة المستخلصة تتعارض مع ما قاله ماركس من أن الخيانة الزوجية تكثر في العوائل البورجوازية ، وتندر في العوائل البروليتارية من منطلق أن العلاقة الجنسية لا يمكن اخضاعها لمنظور طبقي •

على كل حال فان ايجابيات الزواج كثيرة ومريحة • فالزواج يؤمن الاستقرار • والاستقرار عامل أساسي ومهم لنجاح المرء في حياتـه والنجاح هو اساس العطاء ان لم يكن العطاء نفسه •

ان ارتقاء الزواج من النظام الجماعي الى النظام الاحادي يعبر عن تطور الوعي الانساني الذي أفرز هذا النظام وأصبح أكثر الاشكال السائدة • وما النظريات التي تناولت تطور أنظمة الزواج والتي عرضنا أهمها في هذا الكتاب الا مساهمات جادة ، ومثمرة على طريق البحث عن أهم الاشكال التنظيمية التي توفر للاسرة والمجتمع الهدوء والاستقرار والسعادة المنشودة •

فمن حق أي شاب وفتاة أن يختار كل منهما شريك حياته ويكون أسرة جديدة ، لانجاب الاطفال أو عدم انجابهم • ومن حق المجتمع عليهما أن تشكل هذه الاسرة نواة ايجابية تضاف الى البناء الاجتماعي•

من هنا ننظر الى الزواج باعتباره اختيارا حرا أولا ومسؤولية ثانيا وأساسا •

فهو اختيار حر ، لان الشاب الذي اختار شريكة حياته والفتاة التي اختارت شريك حياتها يعني اختيارهما أنهما سيوقعان عقدا ينص على أنهما شريكان متفاهمان متحابان ومستعدان للعيش مع بعضهما بعضا كونهما اختارا بعضهما بعضا من دون أن يؤثر في هذا الاختيار أي طرف خارجي •

وهو مسؤولية باعتبار ان اختيارهما يعني تكوين أسرة وانجاب أطفال وعلاقات مع الاطار الاجتماعي • وهذه العلاقات علاقات متصلة ومنفصلة • متصلة ، لان الاسرة لا تستطيع أن تعيش منعزلة عن اطارها الاجتماعي وكلمة اطار هنا كلمة شمولية تبدأ بأهل الزوج والزوجة وتستد بحيث لا يمكن تحديدها •

ومع كل هذا فمن الصعب الفصل بين العلاقات المنفصلة والعلاقات المتصلة ، لانهما يؤثران في بعضهما بعضا • الاسرة المحددة تؤثر وتتأثر بالاسرة الموسعة • والاسرة الموسعة تؤثر وتتأثر بالمحيط الاجتماعي • ومن هذا المنطلق نقول : ان الخارج يؤثر في الداخل ، والداخل يؤثر في الخارج • لكن تأثير الخارج على الداخل يكون أقوى دائما • وما دام الامر هكذا ، فالشاب والفتاة اللذان اختارا بعضهما بعضا بحرية أو فرضا على بعضهما بعضا بفعل خارجي ، لا بد أن يتعرضا لعوامل

خارجية ، تؤثر على علاقاتهما سلبا وايجابا • فان كان هـذا التأثـير ايجابيا ، فهو لصالح هذه الاسرة الجديدة ، وان كان سلبيا لا بد من أن يؤثر على العلاقة الداخلية لهذه الاسرة • وهذا التأثير قد يدمـر هذه العلاقة ويؤدي الى الطلاق الشرعي •

ان عدم حصول الطلاق الشرعي لاسرة ما ، لا يعني أن التأثيرات السلبية التي يمكن أن يحدثها العامل الخارجي بعيدة عن العلاقات الداخلية لهذه الاسرة ، وان العلاقات الداخلية لهذه الاسرة نفسها لم تفرز تأثيرات سلبية مؤثرة على علاقة الزوج بزوجته أو علاقة الزوجة بزوجهـا •

فالعلاقات الداخلية للاسرة تترك تراكمات كثيرة ، سببها التواصل الدائم ، والاطفال ، والوضع المادي ، والنفسي والفيزيولوجي • وكل هذه الاسباب تؤثر في علاقة الزوج بزوجته ، وعلاقة الزوجة بزوجها • ومع كل هذا يستمران مع بعضهما بعضا • لكن هذه الاستمرارية تختلف عن السنة الاولى والثانية والثالثة من الزواج • والذي يساعد علـى الاستمرار ضغط العوامل الخارجية المتمثلة بالاطفال والاهل والاقرباء والوضع المادي والمجتمع •

فاستمرارية الاسرة بفعل هذه الضغوط أطلقنا عليه : الطـلاق النفسي الذي هو موضوع كتابنا • والطلاق النفسي عرفناه بأنه علاقة مدمرة من الداخل بين الزوج والزوجة • فلـو توافـرت الشـروط الموضوعية وترك الخيار لاحد طرفي هذه العلاقة أو الطرفين لا تخـذا قرارهما بالانفصال • لكن هذه العلاقة قائمة من حيث الشكل لاسباب عديدة قد تكون دينية أو اجتماعية او ثقافية أو اقتصادية أو كل هذه الاسباب مجتمعة •

في هذا الكتاب بحثنا في العوامل والاسباب المؤدية للطلاق النفسي • بحثنا في دور العادات والتقاليد ، والدور الذي يلعبه الاهل في اختيار الزوج أو الزوجة ، وبينا السلبيات المحتملة من جراء هذا التدخل ، وعرضنا نماذج تبين الدور الخطر الذي يلعبه الاهل في هذا المجال •

بحثنا العلاقة بين الخارج والداخل وما يمكن أن تولّده من أسباب تؤثر في العلاقة الداخلية • وأعطينا اهتماما خاصا للعلاقة الجنسية ودورها في الطلاق النفسي • وبحثناها من خلال صفتين خَلقية وخُلُقية : خَلقية من خلال التوافق في السن ، والجمال ، وممارسة الجنس •

وعرضنا نماذج تدلل على تدمير العلاقة الداخلية بين الزوج والزوجة اذا لم تكن هذه الصفات متوافقة •

وحول الصفات الخلقية كان لنا وقفة مع التراث والرؤية التراثية للصفات التي يجب توافرها في الزوجة والزوج •

وأخيرا أنهينا هذا الكتاب بفصل كامل حول فلسفة الحب والزواج ، حاولنا من خلاله تحديد السمات الواجب توافرها ، حتى نستطيع تسمية العلاقة القائمة بين شاب وفتاة بأنها علاقة حب ، وأن هذه العلاقة اذا ما توجت بالزواج ، وتوافرت شروط أخرى ضرورية ، يمكن القول : ان هذه العلاقة بعيدة عن الطلاق النفسي •

فكرة واحدة لا بد من الاشارة اليها وهي أن هناك العديد من المسائل الهامة المحتاجة الى البحث والتدقيق ، واقتراح الحلول

الموضوعية . تتعلق جميعها بقضية الزواج والطلاق النفسي والشرعي .

ومع كل هذا لم تتطرق اليها الاسباب نراها موضوعية ، ان لم نقل : ان العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية وتأثيرها علينا ، معنتنا ولو الى حين ، من البحث والتدقيق فيها .

قلنا : منعتنا ، ولو الى حين . لاننا لا بد من أن نبحثها مستقبلا وقد يكون في تأجيلها فائدة للبحث ولموضوع البحث . وبخاصة بعد أن يصبح هذا الكتاب في متناول القراء الكرام الذين لن يبخلوا في ابداء ملاحظاتهم وارسالها على العنوان الذي حددناه في الصفحة الاخيرة من هذا الكتاب .

الفصل الأول

- **أولا ـ الزواج بوصفه ضرورة**

- **ثانيا ـ النظريات التي تناولت تطور الاسرة**

• أولا ــ الزواج بوصفه ضرورة

لن نعود الى بداية العلاقات الانسانية الفطرية في مرحلتها الاولى، ولن نعرض رؤية الفلاسفة ، وعلماء الاجتماع وعلماء النفس حول العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة ، ولن نعرض العادات والتقاليد التي عرفتها البشرية وقوننتها الاديان السماوية الثلاث وما قبلها ، وما بعدها كما يجب ان تعرض لان ذلك من مهمة المؤرخين ورجال القانون أولا ولان ذلك ليس مجال بحثنا ثانيا وأساسا •

ما نرغب في معالجته هنا السمات الاساسية التي تشترك بها البشرية والتي من الصعب التدخل في منع حدوثها • من هذه السمات: الولادة والموت ، واستمرارية الحياة ، بين مرحلة الولادة والموت • وطبيعي أن يكون الزواج تلك الضرورة التي تؤمن للحياة استمراريتها وطبيعي أن يشترك في هذه الضرورة الانسان والحيوان والنبات وان اختلفت التسمية •

حين نناقش العلاقة الجدلية بين الزواج واستمرارية الحياة نناقشها من حيث تكاثر النوع الذي يشمل الانسان والحيوان والنبات • أما

عندما تناقشها من حيث وعي الضرورة ، فاننا نقتصر بذلك على نوع واحد هو النوع الانساني ، لان النوع الانساني هو وحده الذي اكتشف كنه هذه الضرورة وفهمها على أنها ضرورة لاستمرارية نوعه الذي يحمل في داخله مجمل شروط التطور والرقي ، ومن خلال فهمه لهذه الشروط عرفت البشرية العديد من أشكال التنظيم لهذه الضرورة عرفت البشرية المشاعية تلك المرحلة التي كانت تفتقر للتنظيم والوعي على حد سواء • وعرفت عشيرة الامومة حيث كانت الام في مكانة السيد • ولما اكتشف الانسان ذاته من خلال العمل تحولت المرأة الى تابع للرجل وهذا ما اصطلح على تسميته بالعشيرة البطريركية • ومنذ ذلك التاريخ كانت النظرة الدونية للمرأة على الرغم من شراكتها في تكوّن الاسرة • لكن سمات هذه الشراكة حددت بشكل عام من قبل الرجل حصرا منذ أن بدأ العامل الاقتصادي يلعب دورا أساسيا في الحياة •

سميناها شراكة لانها كذلك ، ولانها يجب أن تكون كذلك • واذا كانت هذه التسمية نراها أقرب للموضوعية ، فاننا نبتعد عن الموضوعية حين ننقد ما كان قائما بالوعي الحالي ، لان ما كان قائما يمثل درجة معينة من تطور الوعي الاجتماعي والفكري ، ولم يكن بمقدور حامله الاجتماعي أن يرى أكثر من الرؤية التي كانت قائمة • وعلى الرغم مما كدسته البشرية من معارف علمية واجتماعية وفكرية وفلسفية •• الخ • ان النظرة الدونية للمرأة ما تزال قائمة حتى تاريخه بأشكال متعددة تحكمها الشروط نفسها التي لا يمكن الرضوخ لها ولا القبول بها •

سميناها شراكة لان مضمون هذه الشراكة تحقيق مبدأ اللذة الجنسية أولا ، ولان هذه الشراكة مسؤولة عن تكون أسرة جديدة ثانيا ، وتحقيق الراحة والسعادة للطرفين ثالثا . وكل اتفاق بين رجل وامرأة لم يحقق هذه الشروط دون قهر أو استغلال أو استلاب لايمكن أن نطلق عليه هذه التسمية .

صحيح اننا نسمع من الرجل وهو يقدم زوجته على أنها شريكة حياته ونسمع المرأة وهي تقدم زوجها على انه شريك حياتها ، لكن الاصح هو أن ذلك الرجل وتلك المرأة انفصل كل منهما عن أسرته واتفقا أن يكونا أسرة بموجب عقد شرعي ، وموافقة سلطة شرعية تنفذ أحكام عقيدة دينية وقوانين حكومية مستمدة من تلك العقيدة الدينية . هذا في الدول التي لم تفصل بين الدين والدولة التي نحن واحدة منها .

واذا كان هذا العقد يتضمن تحديد مبلغ من المال للزوجة سمي بالمهر وقسم الى قسمين : مهر مؤجل ومهر معجل،فقد تم تضمين ذلك في العقد لان المرأة كان ينظر لها على أنها خلقت للبيت وانجاب الاطفال وتأمين متعة الرجل وتحقيق رغباته . واذا مارست العمل فلمساعدة الزوج ووفقا لارادته . وبالنتيجة فان هذه المرأة ما هي الا وسيلة من الوسائل المجندة لخدمة الرجل الذي هو السيد وهو المنتج وهو المقرر .. الخ .

من ناحية ثانية أعطيت كل هذه السلطات للرجل لانه القادر على حمايتها وصيانة شرفها وشرفه ولان الاديان السماوية الثلاثة أعطت الحق للرجال ومنعته عن النساء ، ولان الواقع الاجتماعي والاقتصادي

في النظم السياسية ما قبل الاشتراكيــة أتاحت للرجــل والمجتمــع أن يستغل المرأة •

بعد هذا كله نقول كانت العلاقة بين الرجل والمرأة طبيعية فــي مرحلتها الفطرية الاولى ــ مرحلة المشاعية ــ دون ان يحكم هذه العلاقة الطبيعية أشكالا تنظيمية محددة • ومن دون هذه العلاقة التنظيميــة تشترك بسمات عامة وطبيعية مع الحيوان لان العقل الانساني في تلك المرحلة كان يمثل مرحلة فطرية وان كانت هذه الفطرية تميز الانسان عن الحيوان • قلنا : ان الانسان اكتشف أهمية وجوده من خلال العمل وبشكل أصح العمل هو الذي صنع الانسان • ومن خلال العلاقة بين وعي الانسان الفطري وعلاقته مع الطبيعة كان التطور المتسارع للعقل الانساني الذي استطاع أن يكتشف العديد من قوانين الطبيعة العمياء ويجندها لخدمته ومن خلال اكتشافه لهذه القوانين اكتشف الاشكال التنظيمية التي أخذت تحكم العلاقة بين أفراد المجتمع ، وتطورت هذه الاشكال مع تطور الوعي الانساني على طريق تأمين مصلحة مجموعة من الافراد الاقوياء عرفوا تاريخيا بالطبقة الاجتماعية السائدة ، وكان موقع المراة خلال هذه المراحل يمثل التابع للرجــل • نعود للسمــات الاساسية المشتركة التي من الصعب التدخل في منع حدوثها اذا ما تركت علــى طبيعتها هذه السمات التي حددناه بالولادة والموت واستمرارية الحياة بين الولادة والموت ، من خلال تكاثر النوع الذي يشمــل الانسان والحيوان والنبات ، والانسان وحده الذي استطاع أن ينظم هــــذا التكاثر ، على مستوى نوعه بالشكل الذي هو قائم الاسرة ، واستطاع أن يتدخل ويتحكم بتنظيم تكاثر النبات والحيوان • وهذا يعني أن « الاسرة » هي الخلية الاساسية في استمراريــة الحيــاة الانسانيــة

ومن هذا المنطلق كان وما يزال التركيز ينصب في اطار تكون أسرة تمتلك كامل الشروط الموضوعية من حيث بنية العلاقة الداخلية بين أفرادها لان هذه الاسرة التي بدأت برجل وامرأة ستنجب اطفالا وهؤلاء الاطفال سيكبرون ويصنعون أسرا جديدة وهكذا على طريق تكون مجتمع وسيحكم هذا المجتمع بعلاقات داخلية تنظم طرائق حياته واتتاجه •

نحن هنا لسنا بصدد القاء الضوء على الطرائق التنظيمية التي كانت تحكم العلاقات الاتتاجية لمجتمع معين وان كان لها تأثيرها على العلاقة الداخلية للاسرة وطرائق تكونها ، لان ما يهمنا هو تلك العلاقة الوظيفية بين الاسرة والمجتمع ، لان الاسرة هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي تتمتع بشرعية انجاب الاطفال عن طريق مؤسسة الزواج ، لكن قيم الاسرة حول انجاب الاطفال ليست واحدة فهناك القيم المشجعة على الانجاب والقيم غير المشجعة•فالاسرة اما أن تعتقد بانجاب عدد كبير من الاطفال او تعتقد بانجاب عدد محدود من الاطفال أو عدم الانجاب مطلقا •

ومن المؤكد ان تأثير المجتمع في الاسرة يزود الاسرة بالاحكام القيمية والمقاييس ، والايديولوجية التي تعتقد بها • والتزام الاسرة بهذه القيم والمقاييس والاخلاق يصل الى درجة ناضجة لا نستطيع عندها فصل وتجزئة أخلاقية وايديولوجية المجتمع عن أخلاقية وايديولوجية الاسرة أو العائلة •

اذن العلاقة التي تربط المجتمع بالعائلة هي علاقة ضرورية ومنطقية • لان أي تغيير يطرأ على معتقدات وايديولوجية واخلاقية

المجتمع لا بد وأن يؤثر في معتقدات وايديولوجية وأخلاقية الاسرة الموسعة .

فمثلا : التغيير الذي يطرأ على الوضع الايديولوجي والفكري للمجتمع ، كتغيير ايديولوجيته من ايديولوجية اقطاعية الى ايديولوجية رأسمالية او اشتراكية ، لا بد ان يترك آثاره وانعكاساته في النظام العقائدي والقيمي للاسرة الموسعة بطريقة واضحة ومنطقية .

اضافة الى هذا نرى بأن درجة التنمية الاقتصادية التي وصل اليها المجتمع أو الموارد الطبيعية والثروات الاقتصادية التي بحوزته أو المهن التي يزاولها أبناؤه هي التي تحدد مراكز الاسر بالنسبة للبناء الاقتصادي والاجتماعي او تحدد علاقات الاسرة بقوى الانتاج . وهذا لا بد أن يؤثر في مستواهم الفكري ويحدد ايديولوجيتهم وحقيقة كهذه تؤيد مقولة (ماركس) الشهيرة بأن الوعي لا يحدد الواقع الاجتماعي بل الواقع الاجتماعي هو الذي يحدد الوعي ويرسم صورته واطاره الخارجي . لذا فتغيير النظام الاقتصادي للمجتمع أي تغيير المجتمع مثلا من مجتمع زراعي الى مجتمع صناعي لا بد ان يترك آثاره وردود أفعاله في بناء وظائف وايديولوجية الاسرة الموسعة .

• ثانيا ـ النظريات التي تناولت تطور الاسرة

هناك عدة نظريات حاول أصحابها تفسير الاسرة وطبيعة تطورها أهمها النظرية البنائية ، والنظرية الوظيفية التطورية ، والنظرية المادية التاريخية والدياليتيكية ، والنظرية الرمزية التفاعلية .. الخ .

فالنظرية البنائية مثلا تعتقد بأهمية الترابط المنطقي بين المؤسسة الاجتماعية الاولى (الاسرة) والمؤسسات الاجتماعية الاخرى (الاسر) من جهة ، وبقية المؤسسات الاجتماعية الاخرى كالمؤسسات الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية .. الخ . وتعتقد أيضا بالترابط المنطقي بين الادوار الاجتماعية الاساسية التي تتكون منها الاسرة كدور الاب والام والاين ، والبنت .. الخ . كما تركز على دراسة العائلة الانسانية خلال نقطة زمنية محددة .

أما النظرية الوظيفية ، فانها تدرس وظائف الاسرة في ديمومة وبقاء الكيان الاجتماعي وتختص بتوضيح الترابط الوظيفي بين *

---

* العائلة والقرابة والزواج : الدكتور احسان من الحسن . دار الطليعة .

الأسرة . وبقية أسر المجتمع الاخرى . كما نركز على دراسة وظائف الادوار الاسروية لاستمرارهاوتطورها وتطور الجماعةوالمجتمع الكبير. في حين يعتقد أصحاب النظرية المادية التاريخية بأن الاسرة هي خلية أساسية من خلايا المجتمع . تتأثر بالظروف الاقتصادية والاجتماعية المحيطة بالمجتمع . وتتحول من شكل لآخر اعتمادا على طبيعة تحول المجتمع ، فالعوامل التي تعيش في المجتمع الاقطاعي مثلا تقسم الى (أسر) حاكمة (أسر النبلاء ورجال الدين . وممتلكي الاراضي) و (أسر) محكومة طبقة كادحة ، والصراع الذي يدور بين الاسر الحاكمة والاسر المحكومة يسبب سقوط المجتمع الاقطاعي . وما ينسحب على المرحلة الاقطاعية ينسحب على المرحلة البورجوازية .

بعد هذه المقدمة عن أهم النظريات التي حاول أصحابها تفسير الاسرة وطبيعة تطورها نود أن نركز على النظريات التطورية والتي طرحها كل من البروفسور (فريدريك ليبلاي) و (فريدريك انجلز) والبروفسور (ادورد وستر مارك) والبروفسور (روبرت مكايفر) .

● نظرية البروفسور فردريك ليبلاي :

فردريك يبلاي هو مهندس وعالم اجتماعي فرنسي عاش خلال الفترة (١٨٠٦ — ١٨٨٢) وقد تأثر بالظروف السياسية والعسكرية غير الهادئة التي رافقت عصره . ومن الابحاث الاجتماعية المهمة التي نشرها بحث « المنطقة السكنية ، العمل والعائلة » وبحث « العمالية الاوروبية » . ومن خلال هذه الابحاث استطاع طرح نظريته حول تطور العائلة البشرية وفي هذه النظرية يعتقد ليبلاي بأن العائلة في المجتمع البشري تمر في ثلاثة أدوار او مراحل تاريخية وحضارية ، كل

مرحلة تختلف عن المرحلة الاخرى من حيث صفات العائلة المتعلقة بعلاقاتها الاجتماعية ، تركيبها ، وظائفها ، مهنتها وايديولوجيتها والمراحل الثلاث التي تمر بها العائلة البشرية حسب تعاليم (ليبلاي) هي مرحلة العائلة المستقرة ، ومرحلة العائلة الفرعية ، ومرحلة العائلة غير المستقرة .

١ ـ مرحلة العائلة المستقرة :

العائلة المستقرة هي العائلة القديمة العشائرية التقليدية التي تربط أعضاءها علاقات اجتماعية متماسكة . وتوجد هذه العائلة عادة في المجتمعات الزراعية الريفية كوجودها في المجتمع الاوروبي قبل الثورة الصناعية ، ووجودها في اليابان قبل عام ١٨٥٠ ووجودها في الصين قبل عام ١٩٠٠ ، ووجودها في الوطن العربي قبل عام ١٩٥٠ ، وهكذا . أي أن هذه العائلة توجد في مجتمع ما قبل التصنيع . وقد سميت هذه العائلة بالعائلة المستقرة لان أفرادها يعتقدون بايديولوجية اجتماعية ودينية واخلاقية واحدة ويشاركون في أداء مهنة واحدة ،وهذا يساعد على تشابه قيمهم وتقاليدهم وعاداتهم ومواقفهم وتشابه ظروفهم الاجتماعية الامر الذي يسبب استقرار العائلة وتماسك أفرادها .

ان الابن في العائلة المستقرة يعتقد بنفس القيم والمقاييس والعادات والمواقف التي يعتقد بها الاب ويزاول نفس حرفته ، لذا تكون شخصية الابن مشابهة او مطابقة لشخصية أبيه . كما أن العلاقات الاجتماعية التي تربطهما تكون قوية ، وهذا ما يساهم مساهمة فعالة في وحدة أفراد العائلة ، وهذه الوحدة تساعدها على تحقيق أهدافها وطموحاتها .

٢ ـ مرحلة العائلة الفرعية او الانتقالية :

وهي المرحة الانتقالية التي تمر بها العائلة وهي في طريقها الى التحول من عائلة مستقرة تقليدية الى عائلة غير مستقرة تتميز بالحداثة وصغر الحجم ، وتستند الى أسس الديمقراطية والعدالة الاجتماعية ، وبحكم انتقال هذه العائلة من دور الى آخر تميزت ببعض صفات العائلة المستقرة وبعض صفات العائلة غير المستقرة • ومرور العائلة بهذه المرحلة يساعدها على تهيئة نفسها للانتقال من عائلة مستقرة الى عائلة غير مستقرة •

أما الفترة التي تحتاجها العائلة وهي في هذه المرحلة فتختلف من مجتمع لآخر ، ومن حضارة لاخرى ، ولكنها بوجه عام تتراوح بين ٥٠ ـ ١٥٠ سنة •

فالعائلة الاوروبية مثلا احتاجت فترة ١٥٠ سنة لكي تتحول من عائلة مستقرة الى عائلة غير مستقرة ، بينما العائلة اليابانية احتاجت ١٠٠ سنة لكي تتحول الى عائلة غير مستقرة • أما العائلة العربية فانها لا تزال في هذه المرحلة ، فقد دخلتها عام ١٩٥٠ وفي نهاية القرن يتوقع بعض علماء الاجتماع دخولها بمرحلة العائلة غير المستقرة •

٣ ـ العائلة غير المستقرة :

وهي العائلة التي تمر بالمرحلة الحضارية الثالثة بعد أن تنتقل من مرحلة العائلة الانتقالية او الفرعية • وسبب تسميتها بالعائلة غير المستقرة يرجع الى حقيقة اعتقادها بايديولوجيات وقيم وممارسات مختلفة • فالابن يعتقد بأفكار وقيم ومقاييس تختلف عن أفكار وآراء

وقيم أبيه ، كما انه يمارس مهنة تختلف عن مهنة الاب وتكون ظروفه الاقتصادية والاجتماعية غير متشابهة مع ظروف الاب • وأمور كهذه تسبب عدم استقرار الاسرة أي عدم وجود العلاقات الاجتماعية القوية والمتماسكة التي تربط افرادها • وهذا ما ينتج عادة في فشل هـذه الاسرة في تحقيق أهدافها الاساسية وذلك لعدم وجود الوحدة بـين أفرادها ومنتسبيها • أما العلاقات القرابية التي تربط هذه الاسـرة فتتميز بالضعف والبعثرة نظرا لكون هذه العلاقات تستند على الجانب الرسمي والمصلحي ، فالزيارات بين العائلة النووية واقاربها تكـون محصورة في المناسبات أي مناسبات الاعياد والافراح والمآتم • وتكون هذه العائلة صغيرة الحجم لانها تستعمل برنامج التخطيط العائلي ولا تعطي للاقارب المجال بالسكن معها في بيت واحد • وهذه العائلة عادة تكون مسؤولة عن اداء الوظائف الاساسية كوظيفة انجاب الاطفال وتربيتهم ، تنظيم العلاقات الجنسية في المجتمع ، وتحضير دار للسكن • أما الوظائف الثانوية كالوظائف الاقتصاديـة والثقافيـة والصحية والترفيهية فتعطى عادة الى مؤسسات احصائية تكون الدولة مسؤولة عنها • وقد تحولت العائلة البريطانية الى عائلة مستقرة في عام ١٩١٠ ، وكانت من أقدم العوائل البشرية التي تصل الى هذه المرحلة الحضارية من التحول العائلي • بينما دخلت العائلة الامريكية الى هذه المرحلة الحضارية في عام ١٩٢٠ ، ودخلتها العائلة السوفييتيـة عام ١٩٥٠ ثم تبعتها العائلة اليابانية • وتعيش هذه العائلة عادة وسط بيئة صناعية وتجارية معقدة تعتمد على مبدأ تقسيم العمل والتخصص فيه ، وتتمتع بدرجة اقتصادية رفيعة ، وتكون عادة مرفهة ماديا واجتماعيا • الا ان المشكلات الاجتماعية والحضارية التي تجابه هذه العائلة هـي أكثر خطورة وأشد بأسا من المشكلات التي تجابه العائلة المستقرة والعائلة الانتقالية التي تكلم عنها ليبلاي قبل قليل •

نظرية فردريك انجلز :

ان الدراسات والابحاث العميقة والمكثفة التي قام بها كل من (كارل ماركس) و (فردريك انجلز) عن تطور الرأسمالية ونظمها الاجتماعية البنائية قد دفعتهما الى الاهتمام بموضوع نمو وتطور العائلة البشرية • وقد تبلور هذا الاهتمام وأصبح أكثر الحاحا بعد قيام العالم الانثروبولوجي الامريكي (لويس موركن) بنشر مؤلفه (المجتمع القديم) عام ١٨٧٧ ، اطلع (ماركس) على هذا الكتاب وكون حوله عدة آراء وملاحظات ، الا انه لم يقم بنشرها او تعميمها طيلة فترة حياته • بيد ان انجلز استطاع نشر مقالة مطولة عن هذا الكتاب بعد وفاة ماركس كانت بعنوان « أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة » ، وقد اعتمد انجلز في كتابة هذه المقالة على نظريات ماركس حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي وأفكار (موركن) حول التاريخ الجدلي لمؤسسات ونظم القرابة في العالم •

يعتقد انجلز بأن نظام العائلة يعتمد على نظام الزواج ، ولا يمكن فهم النظام الاخير واستيعاب مضمونه الحضاري والانساني دون دراسته دراسة تاريخية • فنظام الزواج حسب آراء (انجلز) ينقسم تاريخيا الى ثلاثة أقسام رئيسية هي :

١ ـ نظام الزواج الجماعي الذي رافق مرحلة التوحش التي مر بها المجتمع البشري •

٢ ـ نظام الزواج الثنائي الذي رافق المرحلة البربرية التي مر بها المجتمع البشري •

٣ ـ نظام الزواج الاحادي الذي رافق مرحلة المدنية خصوصا المرحلة الاقتصادية والمرحلة الرأسمالية وخلال تحول نظام الزواج من

النظام الثنائي الى النظام الاحادي شهد المجتمع البشري شيوع نظام تعدد الزوجات في مجتمعات العبودية والاقطاع .

لكن نظام الزواج الاحادي بعد فترة القرون الوسطى ، أصبح يعتمد على الاعتبارات المادية والاقتصادية أكثر مما كان سابقا لا سيما بعد شيوع واستقرار نظام الملكية الخاصة وسيطرتها على الملكية العامة. فنظام الزواج خلال تلك الفترة الزمنية أصبح لا يعتمد على الصفات الشخصية والذكائية التي يتمتع بها الزوجان ، ولا يعتمد على الحب والرغبة الذاتية بالزواج نفسه بقدر ما كان يعتمد على الملكية والعوامل المادية التي يتمتع بها الرجل .

ان الرجل الذي يسيطر على الملكية ووسائل الانتاج يستطيع الزواج من أية امرأة كانت حتى ولو كانت غير راغبة بالزواج منه . والمرأة في ذلك الوقت لم تكن لديها حرية اختيار الزوج ، فالزوج كان يفرض عليها من قبل أولياء أمورها . وفي حالة رفضه من قبلها فانها تعرض نفسها الى أقصى العقوبات من قبل المجتمع .

وخلال مرحلة المجتمع الرأسمالي تحول نظام الزواج الى نظام تعاقدي تتساوى فيه من الناحية النظرية منزلة الرجل مع منزلة المرأة ، ويعتمد على الحب وبقية الصفات الشخصية والذكائية التي يتمتع بها الزوجان الداخلان في العلاقات الزوجية . الا ان علاقات الانتاج البرجوازي بما فيها من ظلم وقهر وتعسف اجتماعي حالت دون ظهور العلاقات الزواجية التعاقدية بين رجال ونساء المجتمع الرأسمالي . هذه العلاقات التي كان ينادي بها المذهب البروتستانتي اللوثري وتدعمها حركة الاصلاح الديني التي ظهرت في أوروبا ابان القرن السادس عشر.

فالملكية التي كانت تسيطر عليها الطبقة البرجوازية هي التي حددت العلاقات الزواجية بين أبناء المجتمع . حيث أن أبناء الطبقة البرجوازية يتزوجون من طبقتهم . وأبناء الطبقة البروليتارية يتزوجون من طبقتهم أيضا . ونادرا ما يقع الزواج بين أبناء وبنات هاتين الطبقتين، أي ان الطبقة البرجوازية لا تتزوج من الطبقة البروليتارية والعكس بالعكس . وقد لاحظ انجلز فساد وتحلل علاقات الزواج بين أبناء الطبقة البورجوازية . فالرجل من خلال ملكيته وملكية عائلته او من خلال لقب عائلته ونفوذها غالبا ما كان يفرض على بنت العائلة البورجوازية ، وليس للبنت أية قوة تمكنها ما رفضه وعدم الموافقة على الزواج منه .

وهنا لا يعتمد مثل هذا الزواج على الحب والتفاهم والتضحية المشتركة بين الزوجين بل يعتمد على القوة والجبروت والقهر . لهذا تنتشر حالات الخيانة الزوجية والفساد والتحلل الخلقي بين العوائل البرجوازية في المجتمع الرأسمالي . أما الزواج في العوائل البروليتارية فانه في أغلب الحالات لا يعتمد على عامل الملكية والنفوذ الاقتصادي ولا يعتمد على القوة والجبروت والقهر بل يعتمد على الحب والتعاون والتضحية المشتركة بين الرجل والمرأة . فالمرأة البروليتارية حسب تعاليم انجلز لا تتزوج من الرجل بسبب ملكيته او قوته ونفوذه الاقتصادي والاجتماعي ، حيث ان هذا الرجل بحكم ظروفه الاقتصادية والاجتماعية المتردية والمتدهورة ، لا يملك القوة والنفوذ ، بل تتزوجه بسبب حبها له وانسجامها وتعاونها معه . لهذا تندر حالات الخيانة الزوجية والفساد الخلقي والتحلل العائلي بين العوائل البروليتارية في المجتمع الرأسمالي .

ويختتم انجلز دراسته عن أصل العائلة بقوله : (ان العائلة الانسانية يمكن أن تبلغ درجة الرفعة والكمال والفضيلة اذا استطاع المجتمع الذي تعيش فيه تغيير علاقات الانتاج البرجوازي ، والغاء الفوارق الطبقية الاجتماعية والمساواة بين المرأة والرجل في الحقوق والواجبات . واذا استطاع أيضا الغاء نظام الزواج الذي يعتمد على الاعتبارات المادية والاقتصادية . وتعويضه بنظام زواج يعتمد على الحب والتضحية والاخلاص والتفاهم والتعاون المشترك بين رجال ونساء المجتمع .

نظرية البروفسور أدورد وستر مارك :

أدورد وستر مارك (١٨٦٢ ـ ١٩٣٩) فيلسوف وعالم اجتماعي فنلندي استطاع أن يشغل مركزين أكاديميين في آن واحد . فقد شغل مركز استاذ الفلسفة الاخلاقية والاجتماعية في أكاديمية آبو فيهلسنكي ومركز استاذ علم الاجتماع في جامعة لندن . اهتم وستر مارك اهتماما متزايدا بدراسة العائلة البشرية دراسة تاريخية اجتماعية . واشتهر بانتقاده لنظرية النسب الامي انتقادا علميا حيث كان يعتقد بأهمية النسب الابوي وتقدم هذا النسب تاريخيا على النسب الامي . وانتهج الاسلوب المقارن والاسلوب التطوري في دراسة العائلة البشرية . ومن أهم مؤلفاته في العائلة كتابه الموسوم « تاريخ الزواج البشري » الذي ظهر لاول مرة عام ١٩١٦ .

يذكر البروفسور وستر مارك في كتابه « تاريخ الزواج البشري» بأن الزواج هو أساس تكوين العائلة ، فبعد عقد الزواج بين الرجل والمرأة تتكون العائلة . ثم بعد ذلك تكبر حجما وتزداد ترسخا بعد انجابها للاطفال . والزواج حسب تعريف وستر مارك هو علاقة

اجتماعية جنسية تقع بين شخصين مختلفين في الجنس (رجل وامرأة) يشرعها ويبرر وجودها المجتمع ، وتستمر لفترة طويلة من الزمن يستطيع خلالها الشخصان المتزوجان انجاب الاطفال وتربيتهم تربية اجتماعية واخلاقية ودينية . ويعتقد وستر مارك بأن الانسان منذ بداية الخليقة يميل نحو الزواج بامرأة واحدة . وهنا ينتقد وستر مارك آراء موركن التي تشير الى المراحل التاريخية الثلاث التي مر بها نظام الزواج في العالم وهي مرحلة الزواج الجماعي ومرحلة تعدد الزوجات او الازواج وأخيرا مرحلة الزواج الاحادي . وبعد قيام وستر مارك بانتقاده آراء موركن يؤكد على ان نظام الزواج منذ البداية هو النظام الاحادي للزواج . وفي الوقت نفسه يعترف بأن هناك ظروفا استثنائية تدعو الى ظهور نظام تعدد الزوجات او نظام تعدد الازواج او نظام الزواج الجماعي . وهذه الظروف تفسر بعوامل قلة عدد سكان المجتمع أو قلة رجال المجتمع أو قلة نساء المجتمع أو التحضير للحروب والتوسع العسكري .. الخ . ويقسم البروفسور وستر مارك العوائل البشرية الى ثلاثة أصناف :

١ ـ العائلة البسيطة :

التي تتكون من الاب والام والاطفال فقط . وهذه العائلة تسكن في بيت واحد ولا تدع المجال للاقارب بالسكن في بيتها . وتوجد هذه العائلة في المجتمعات الصناعية والحضرية الراقية .

٢ ـ العائلة المركبة :

وهذه تتكون من العائلة البسيطة اضافة الى الاقارب كالعم والجد والخال الذين يسكنون في بيت العائلة البسيطة . ومثل هذه العائلة توجد في المجتمعات الصناعية والزراعية على حد سواء .

٣ ــ العائلة المعقدة :

وهذه العائلة تتكون من عائلتين أو الثلاث عوائل بسيطة تعيش في بيت واحد • وهذه العوائل البسيطة التي تعيش في بيت واحد يجب ان تربطها العلاقات القرابية المتماسكة التي تسمح لها ، أن تحرز الالفة والانسجام والتعاون • وتوجد هذه العائلة في المجتمعات القبليــة والعشائرية وفي المجتمعات الفردية الزراعية • ويعتقد وستر مارك أيضا بأن العائلة البشرية غالبا ما تتحول من عائلة بسيطة الى عائلة مركبة ثم الى عائلة معقدة • والتحول هذا يرجع الى التحضر والتصنيع والتنمية الاقتصادية التي يشهدها المجتمع البشري خلال القرنين الثامن والتاسع عشر •

اما بانسبة لنسب العائلة فان البروفسور وستر مارك يعتقد بأن النسب الابوي هو أهم لوحدة وتطور ورفاهية العائلة من النســب الامي • ويشير أيضا بأن النسب الابوي هو اقدم تاريخيا من النسب الامي • الا انه يقسم نسب العائلة الى ثلاثة أقسام هي :

١ ــ النسب الابوي :

ذكر وستر مارك بأن العائلة بدأت بدور اول عرف بعهد الابوة ، هذا العهد الذي لم ينحصر في أمة واحدة بل تناول جميع الامم ، فليس من امة عريقة في التقدم الا وقد مرت بهذا الدور الذي يقتضي النسب فيه الى الاباء أي خط الذكور •

٢ ــ النسب الامي :

وهو العلاقة القرابية التي ترجع الفرد الى نسب أمه وليس الــى

نسب أبيه • وسبب ظهور النسب الامي في المجتمع يرجع الى قوة ونفوذ المرأة في المجتمع والى امكانياتها الكبيرة في التأثير في سير الاحداث • والفترة الزمنية التي ظهر فيها هذا النسب حسب آراء وستر مارك كانت الفترة التي سبقت القرون الوسطى •

٣ ـ العهد المشترك :

في هذا العهد أصبحت القرابة ذات حدين : نسب الابوة وصلة الامومة واصبح الابناء ثمرة الابوين كليهما في النسب لهم عصبة في أقرباء الاب ورحمة في نسباء الام •

نظرية البروفسور روبرت مكايفر :

البروفسور روبرت مكايفر هو عالم اجتماعي امريكي له عدة مؤلفات في حقل اختصاصه أشهرها مؤلفه « المجتمع » • وتفسيراته الاجتماعية للعلاقات والتفاعلات والسلوك الاجتماعي تعتمد على التعليلات السيكولوجية حيث انه يرجع الحوادث من التفاعلات الاجتماعية الى أصولها ودوافعها السيكولوجية • لهذا يمكن اعتباره عضوا من أعضاء المدرسة السيكولوجية لعلم الاجتماع • واشتهر مكايفر في كتاباته العلمية الدقيقة عن موضوع العائلة وعن تركيبها ووظائفها وتحولها التاريخي • حيث أشار في كتابه « المجتمع » بأن العائلة البشرية تقسم الى قسمين أساسيين : هما العائلة الممتدة والعائلة النووية ، والعائلة تتحول تاريخيا من مرحلة العائلة الممتدة الى مرحلة العائلة النووية • والعائلة النووية هي عائلة صغيرة الحجم اذ تتكون فقط من الزوج والزوجة والاطفال الذين لا يتجاوز عددهم عن أربعة أطفال • أما العائلة الممتدة فهي عائلة كبيرة الحجم حيث انها تتكون من

الزوج والزوجة والاطفال الذين يتجاوز عددهم من ٧ ــ ١٠ اطفال والاقارب الذين يسكنون مع العائلة الاصلية في بيت واحد .

توجد العائلة الممتدة في المجتمعات الزراعية الريفية وفي المجتمعات المحلية العشائرية والقبلية ، كما أنها تتوافر ايضا في البيئات الاجتماعية العمالية والفلاحية . اما العائلة النووية فحسب تعاليم البروفسور مكايفر توجد في الاقاليم الصناعية والحضارية المتطورة وتتوفر أيضا في الاوساط المهنية والمتوسطة .

ومن الصفات الاخرى التي تميز العائلة النووية سيطرة الجو الديمقراطي عليها وذلك لتساوي منزلة الزوج مع منزلة زوجته . بينما يخيم الجو الديكتاتوري على العائلة الممتدة اذ ان الاب يحتل منزلة اجتماعية أعلى بكثير من منزلة الام وينفرد في اتخاذ الاجراءات والقرارات التي تتعلق بمستقبل العائلة والاطفال . ومما يزيد من ديمقراطية العائلة النووية عدم تعرض الزوج الى القيود التي تفرضها عليه سلطة الاقارب كسلطة الجد او الاخ ، هذه السلطة التي كانت تقرر مصير ومستقبل العائلة الممتدة سابقا . والزوجة في العائلة النووية لا تحكم من قبل والدة زوجها ولا تخضع لارادتها كما كانت عليه الحال في العائلة الممتدة .

وعلاقة الزوج مع زوجته في العائلة النووية اقوى بكثير من علاقة الزوج بزوجته في العائلة الممتدة . أما الاطفال في حالة العائلة النووية فيتولى الابوان رعايتهم والعناية بهم ، والاقارب نادرا ما يساهمون في تولي مسؤولية تربية الاطفال . بينما في العائلة الممتدة يشارك كل من الوالدين مع الاقارب في تربية ورعاية الاطفال . وتتعرض العائلة

النووية الى فقدان التقاليد والعادات والقيم التي كانت تلعب الدور الاساسي في وحدة وتماسك العائلة الممتدة ولهذا تكون علاقاتهـــا الاجتماعية والقرابية ضعيفة ومفككة •

ويشير البروفسور مكايفر الى التبدل الذي طرأ على وظائــف الاسرة ، فيقول بأن العائلة الممتدة كانت تعتمد كليا على نفسها فـــي تقديم الوظائف المهمة لافرادها والمجتمع الكبـــير • وهـــذه الوظائف يقسمها الى قسمين : الوظائف الاساسية التي تتعلق بانجاب الاطفال وتربيتهم تربية اجتماعية واخلاقية ووطنية ، تنظيم العلاقات الجنسية بين أبناء المجتمع ، وتحضير دار لسكن العائلة وتأثيثه بالاثاث اللازم اما الوظائف الثانوية فهي الوظائف الاقتصادية كتوزيع الاعمال علـــى أفراد العائلة وتلبية حاجاتهم الاقتصادية ، الوظائف الصحية ، الوظائف الدينية ، الوظائف الترفيهية ، والوظائف الثقافية والتربوية • اما العائلة النووية التي ظهرت بعد تصنيع وتحضير المجتمع فانهـــا تختص بأداء الوظائف الاساسية التي تكلم عنها مكايفر • والوظائف الثانوية فـــي المجتمع الصناعي المتحضر لا تقوم بها العائلة بل تقوم بها الدولـــة • فالدولة مثلا تخلق الاعمال الاقتصادية وتوزعها على أبناء المجتمع كل حسب كفاءته واختصاصه • وتسيطر على الانتاج الصناعي والزراعي وتنظم حركة التجارة الداخلية وهكذا • كما انها تفتح المدارس ودور العلم على اختلاف انواعها ودرجاتها وتحرض أبناء العوائل على الدخول اليها والاستفادة من خدماتها • كذلك تقوم بتأسيس المستشفيـــات والمستوصفات والمراكز الصحية لمعالجة ابناء المجتمع مجانا وهذا ما يسبب الرفاهية الصحية للمجتمع الكبـــير • وهكـــذا بالنسبـــة للوظائف الاخصائية الاخرى التي تقدمها دوائر ومؤسســـات الدولـــة لابناء المجتمع كافة •

وبعد دراسة مكايفر للفوارق الحضارية والاجتماعية بين العوائل الممتدة والعوائل النووية في كتابه « المجتمع » يقوم بدراسة مفصلة للعائلة المعاصرة ، أي العائلة النووية التي توجد في معظم المجتمعات الصناعية المتحضرة والراقية ، ويدرج هذه الصفات بالنقاط التالية :

١ ـ يكون وجود العائلة الحديثة مبنيا على اتفاق الزوج مع زوجته ، فهما اللذان يقرران بناء حياتهم الزوجية منذ ابتداء دخولهم لها .

٢ ـ تتولى العائلة الحديثة تربية ورعاية اطفالها تربية عقلانية وعملية .

٣ ـ تدير العائلة الحديثة شؤونها بطريقة ديمقراطية بحتة ، فالزوج والزوجة يبحثان القضايا والامور التي تتعلق بحياتهم الزوجية بطريقة تبتعد عن الديكتاتورية وتعتمد على النقاش البناء بين الزوجين .

٤ ـ تنظم العائلة الحديثة أسس حياتها ومعيشتها وأهدافها بصورة شعورية اختيارية تعتمد على رغبات واتجاهات الزوج والزوجة.

٥ ـ تعترف السلطة الحكومية بأهمية العائلة الحديثة وبالمسؤوليات الكبرى الملقاة على عاتقها . فهي تعمل على مساعدة العائلة علما منها بأنها المدرسة الاولى التي يتعلم فيها الطفل شتى أنواع المهارات التي تساعده على بناء شخصيته واستقلاليته .

٦ ـ ان العائلة الحديثة مستقلة استقلالا تاما من الناحية الاقتصادية عن أقاربها فهي تعتمد على نفسها في تمشية امورها الاقتصادية ، وهي وحدة متكاملة تكافح من اجل اسعاد أفرادها وتحقيق أهدافهم وطموحاتهم الحياتية .

٧ ـ تهتم العائلة الحديثة في الوقت الحاضر بتحديد النسل الذي

يتفق عليه مقدما الزوجان حيث انه يساعد العائلة على تحقيق الموازنة بين مواردها المالية وعدد أفرادها ويمكنها في الوقت نفسه من اعطاء التربية الجيدة والصالحة لاطفالها .

الفصل الثاني

البحث الاول

- تعريف الطلاق النفسي
- العوامل المؤدية للطلاق النفسي
- دور الاهل في اختيار الزوج أو الزوجة
- علاقة الزوجة بأهل الزوج
- علاقة الزوجة بأم الزوج
- العلاقة بين أهل الزوج وأهل الزوجة والانعكاسات التي تحدثها هذه العلاقة
- الوضع العام للزوجة
- عرض حالة من الواقع الاجتماعي
- الوضع العام للزوج

• تعريف الطلاق النفسي

علاقة مدمرة من الداخل بين الزوج والزوجة ، لو توافرت الشروط الموضوعية ، وترك الخيار لاحد طرفي هذه العلاقة أو الطرفين لاتخذا قرارهما بالانفصال . لكن هذه العلاقة قائمة من حيث الشكل لاسباب عديدة قد تكون دينية ، أو اجتماعية ، أو ثقافية أو اقتصادية أو كل هذه الاسباب مجتمعة . واذا كان الطلاق مرفوضا في الاديان السماوية الثلاث الا ان الاديان أقرت الطلاق حين لا يكون هناك أمل فى استمرارية الحياة الزوجية . وهذا يعني ان الطلاق ما يزال مرفوضا دينيا ، واجتماعيا الا اذا توافرت أسباب قاهرة تفرضه ومن يقدم على الطلاق من دون توافر هذه الاسباب يعتبر خارجا عن العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية . وبخروجه هذا يعيش بعد الطلاق محاصرا اجتماعيا الى أن يثبت جدارته في الحياة ، ويتفهم الاخرين أن الخطوة التي أقدم عليها هي الحل الوحيد والممكن من البقاء على الوضع الذي كان قائما ومع كل هذا تبقى وجهات النظر مختلفة حول الاسباب وحول النتيجة. ومن هذا المنطلق نسبة كبيرة جدا تفضل الطلاق النفسي على الطلاق

الشرعي ، وتتحمل نتائجه ، على الرغم من ان الطلاق النفسي يساوي كل الشروط التي تؤدي في النتيجة الى الطلاق الشرعي •

• العوامل المؤدية للطلاق النفسي

كثيرة هي العوامل المنظورة وغير المنظورة التي تؤدي الى الطلاق النفسي • قلنا عوامل منظورة وغير منظورة لان العوامل المنظورة قد يتحدث بها الزوج أو الزوجة الى الاهل والاصدقاء والى بعضهم بعضا كمحاولة لا بد منها أملا في الغاء الثغرات القائمة ، غير أنه يوجد عوامل غير منظورة قد لا يقولها الزوج لا لزوجته ولا لاهله ولا لاصدقائه • وما ينطبق على الزوج قد ينطبق على الزوجة •

وعلى هذه الارضية يتراكم الضغط النفسي على الزوج والزوجة لان الصراحة في العديد من الامور الخاصة قد تؤذي مشاعر الرجل أو مشاعر المرأة وتزيد من خلافهما•من هذا المنطلق تبقى الامور مكبوتة من دون علاج ، وتتراكم هذه الامور الى ان تصبح العلاقة بين الزوج والزوجة مدمرة من الداخل ، وينعكس تدمير هذه العلاقة على حياتهما أولا وعلى أطفالهما وأهلهما وأصدقائهما وعلى الوضع الاجتماعي والاقتصادي والصحي،وينتقل هذا التأثير بشكل أو بآخر الى المجتمع•

ما نرغب في القاء الضوء عليه عدة عوامل لم نقصد ترتيبها حسب أهميتها لان أهمية هذا العامل في بيئة اجتماعية ريفية تختلف عن بيئة اجتماعية في المدينة ، وهذه الاهمية نفسها تختلف من منطقة ريفية الى منطقة أخرى ، وتختلف من حي الى حي في المدينة نفسها •

نقطة مهمة لا بد التأكيد عليها ، وهي أنني قبل البدء بكتابة

هذا البحث لم أعتمد على ما قرأت . ولم أعتمد على العوامل النفسية لشريحة اجتماعية تعيش في منطقة محددة فقط ، بل أجريت لقاءات ميدانية شملت كل المحافظات السورية وتجاوزت هذه المحافظات الى لقاءات أجريتها مع نماذج من عدة أقطار عربية . وكنت حريصا وأنا أبحث عن هذه النماذج أن تكون نماذج مختارة بحيث تشمل العمال والفلاحين والبورجوازيين . وضمن هذه التشكيلات الاجتماعية كنت أبحث عن الامي ونصف الامي والمثقف والذي يحمل مؤهلا علميا عاليا، على الرغم من قناعتي أن هناك سمات نفسية عامة تشترك فيها الاسرة يمكن أن نسميها سمات نفسية عالمية وهذا ما سنحاول الاحاطة بها .

نعود للعوامل المؤدية للطلاق النفسي ونبحثها وفق التسلسل التالـــي :

● دور الاهل في اختيار الزوج أو الزوجة

حتى تاريخه وعلى الرغم من التطورات الكبيرة والمهمة التـــي حصلت على الصعد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ما تزال العادات والتقاليد تفرض نفسها على اختيار الزوج أو الزوجة من قبل الاهل ، وطرائق هذا الاختيار تختلف من بيئة اجتماعية الى بيئة اجتماعيـــة أخرى . وباختلاف هذه البيئة عن البيئة الاخرى نلمس حرية هامشية هنا واستلابا كاملا للحرية هناك وتمردا اجتماعيا هنا وهناك .

نلمس حرية هامشية في بعض المناطق الريفية للقطـــر العربـــي السوري ــ وان كانت المناطـــق الريفيـــة في الوطن العربـــي تلتقـــي حول سمات أساسية معينة ــ بمعنى الشاب والفتاة يعرفان بعضهمـــا

بعضا ويلتقيان ويمكن أن يكون بينهما علاقة يسمونها حب أو اعجاب او ارتياح الى ما هنالك من تسميات تحكم علاقة الشاب بالفتاة ، وعلى الرغم من هذه الحرية الهامشية حين يعلن الابن رغبته بالزواج من تلك الفتاة التي عرفها ، يكون موقف أهل الشاب الرفض اما من منطلق تجاوز سلطتهما وحقهما في اختيار الزوجة المناسبة لابنهما أو لعيوب وهمية يضعونها في الفتاة ، أو لاختلاف داخل هذه الاسرة حول رغبة ابنهما ، بمعنى قد توافق الام ويرفض الاب أو يوافق الاب وترفض الام . واذا وافقا قد يعترض صاحب الرأي والكلمة في الاسرة الموسعة، وبالتالي تفشل هذه العلاقة وتقمع تلك الحرية الهامشية لذلك الشاب الذي يعتبر ان ذلك من حقه ــ وهو من حقه بكل تأكيد ــ أما الفتاة التي تمثل الطرف الاخر تمنعها العادات والتقاليد والقيم السائدة أن تبوح برأيها ، واذا أعلنت ذلك ــ وهذا من حقها أيضا ــ تلاحقها الاقاويل والاتهامات ويطعن في شرفها وسلوكها وقد تتطور هذه الامور الى أن يذهب أهل الشاب الى أهل الفتاة ليقولوا لهم مثلا ابعدوا ابنتكم عن ابننا فنحن لن نزوجه ، واذا زوجناه فسيكون غير ابنتكم وكثيرا ما تحصل خلافات قد تؤدي الى نتائج غير مرضية .

نتيجة هذه الضغوط قد يتخذ الشاب والفتاة قرارهما بالزواج كما هو معروف (هروب أو خطيفة) تتفاقم المشكلة بعد ذلك ، والنتيجة هنا تختلف من بيئة اجتماعية الى اخرى ، فهناك أسر في بعض محافظات القطر تستمر ملاحقتهم لابنتهم ولا تتوقف هذه الملاحقة الا بقتل ابنتهم ، من منطلقهم المتزمت والمتخلف والمرفوض ، وغسل العار الذي لحق بشرف العائلة .

أما اذا استطاع الاهل والاصدقاء التدخل ومنع حدوث مثل هذه النتائج وتم الاتفاق على شروط معينة وعاد الزوج وزوجته الى اطار الاسرة ، تظهر صعوبات أخرى • من ابرز هذه الصعوبات :

• علاقة الزوجة بأهل الزوج

لهذه العلاقة تفرعات عديدة أبرزها :

الزوجة ترغب وتحب أن تكون علاقتها بزوجها منفصلة او شبه منفصلة ليبنيان حياتهما وفق رغباتهما مع المحافظة على علاقة وثيقة مع أهل الزوج من حيث الاحترام والتقدير المتبادل • غير أن أهل الزوج قد لا يوافقون على هذا الانفصال ويرغبون بالتدخل في هذا الامر أو ذاك ، مثلا قد يطلب الاب من ابنه ان يعطيه دخله الشهري مقابل سكنهما وطعامهما وتأمين طلباتهما من لباس وطبابة •• الخ داخل البيت ـ بيت العائلة ـ •

ينشأ خلاف بين الاب وابنه من منطلق رغبة الابن في تكوين نفسه وتخطيط مسار مستقبله • وقناعته أنه يمتلك العقل والمقدرة مثل والده ، فلماذا لا يسمح له الاب البدء في بناء مستقبله كما فعل هو • واذا رضخ الابن للامر الواقع اما لضعف في شخصيته ، واما من منطلق المحافظة على البنية الداخلية للاسرة ، قد لا توافق زوجة الابن على هذا الرضوخ . وفي هذه الحالة تنشأ معاملة خاصة من قبل أهل الزوج لزوجة الابن وتستمر الحياة بين مد وجذر ، وأمام هذا الوضع تكون مواقف الابن متناقضة مرة يقف مع أهله ومرة يقف مع زوجته، وهذا الموقف وذاك غالبا ما يكون محكوما بالعاطفة من منطلق المحافظة

عىى العلاقة الداخلية مع أهله وزوجته في وقت واحد . وأمام هذا المد والجذر ــ كما قلنا ــ قد ينفعل الزوج ويوجه الاهانة لزوجته مثل (اخرسي من تتمرد على أهلها والعادات والتقاليد تتمرد على أهل زوجها) ، الزوجة هنا تقف مع ذاتها فتقول مثلا : ضحيت بعلاقتي مع أهلي وسمعتي وهربت معه لانني أحبه فهل أستحق مثل هذه الاهانة بعد كل هذه التضحية . وقد تقول كل هذا الكلام لزوجها .

طبعا مثل هذه الاهانة لا تنسى بالسرعة التي يتوقعها البعض . اذا تم تجاوزها من منطلق (المسامح كريم) فتأثيرها لا يمكن أن يمحى وتستقدمه الذاكرة بين حين وآخر . وهذه الطعنة تستغل من قبل أهل الزوج وأهل الزوجة معا ، كأن يقول أهل الزوجة هربت معه وخلفت رأينا وهذه هي النتيجة وتبدأ التراكمات تتكدس ويبدأ الزوج يتمرد ويسلك سلوكا يزعج زوجته ، وخلال هذه الفترة تكون هذه الزوجة قد أنجبت أطفالا . فتحاصر لعدة أسباب منها وضع أطفالها والنتائج السلبية بسبب تمردها على العادات والتقاليد والقيم الاخلاقية . ولانها اذا ما فكرت وقررت طلب الطلاق فالطلاق سيحاصرها اجتماعيا ليمنعها من الزواج مرة ثانية هذا أولا وثانيا ان لم تكن متحررة اقتصاديا ستشكل عبئا على أهلها وهذا العبء سينعكس عليها .. الخ . أمام هذه الاسباب مجتمعة ترضخ للامر الواقع وتفضل الحياة مع زوجها وأطفالها على الرغم من تدمير علاقتها مع زوجها . فتبقى هذه الزوجة محرومة من انسانيتها مسلوبة الارادة . حولت نفسها أو حولت رغما عنها الى ملكية خاصة للرجل يتصرف فيها وفق رغباته وأهوائه . فاذا توفرت لديه الرغبة في ممارسة الجنس مع زوجته يمارس الجنس لاشباع رغبته الحيوانية دون أن يأخذ بعين الاعتبار ان زوجته بحاجة لاشباع غريزتها الجنسية ، يثيرها أو يجعلها تقترب من الاثارة ويتركها دون ان يوصلها الى ما وصل اليه هو .

تمارس هذه الزوجة الكبت على نفسها ، واذا لم تستطع وأظهرت له رغبتها قد يوجه لها طعنة أخرى في شرفها . أما ان تطلب الزوجة من زوجها ممارسة الجنس فذلك عار كبير لان الاخلاق والشرف والكرامة الى ما هنالك من تعابير يستعملها الزوج لاستلاب حرية الزوجة ومنعها حتى من هذا الحق الطبيعي .

طبعا هذا الوضع لا بد وأن ينعكس على الوضع العام في الاسرة فاما أن تتفاقم هذه الامور وتؤدي الى الطلاق الشرعي واما أن تبقى ضمن اطار الطلاق النفسي وهذا الطلاق بتقديري أصعب وأخطر من الطلاق الشرعي .

• علاقة الزوجة بأم الزوج

الزواج حالة انسانية وضرورية لاستمرارية الحياة من جهة ولاشباع الغريزة الجنسية من طرف آخر . والامومة حالة انسانية ضرورية ، وعاطفة الام نحو أولادها ، وشعور الابن نحو امه ضرورة عضية وعقلانية للمحافظة على البناء الداخلي للاسرة وتمتين بنيتها الداخلية .

هذا الابن الذي كبر وأصبح رجلا له أم واحدة ، وهذه الام لا ترضى أن يشاركها في أمومتها او عاطفتها امرأة في الدنيا. الزوجة التي اختارها هذا الابن سواء برغبة أمه أو ضد رغبتها اختارت لتكون زوجته وحبيبته وأم أطفاله وشريكة حياته . فاذا اختار الشاب زوجته بعيدا عن رغبة أمه أظهرت غضبها ورفضها حيال تلك الفتاة التي لم تقترف ذنبا سوى أنها اختارت هذا الشاب شريكا لحياتها وما دامت هي اخترته فمن المفروض أن تكون تحبه وحبها له يجب ان يساوي حبها

لكل من يحب زوجها وفي مقدمة من يحب زوجها بكل تأكيد هي أمه •
من جهة ثانية أيضا الام تحب ابنها بكل تأكيد وحبها هـذا يجب أن يقابله حبها لتلك الفتاة التي اختارتها أن تكون زوجة لابنها هذا اذا كانت الام هي التي اختارت الزوجة لابنها •

أما اذا كان الشاب قد اختار زوجته فاختياره لها لانه يحبها ، وما دام يحبها وامه تحبه فيجب على الام ان تبارك هذا الزواج وتظهر احترامها لهذه الزوجة لان احترامها هذا دليل قاطع علـى احترامهـا وحبها لابنها •

من هذا المنطلق ومن خلال معايشة الواقع الاجتماعي نطـرح السؤال التالي : لماذا يحدث الخلاف بين الزوجة وأم الزوج ؟•
يقول علماء النفس ان أم الزوج تشعر ان زوجة الابن قد قاسمتها على ابنها وشعورها بهذه القسمة يجعلها تفكر بعقلية المالك الذي يملك قطعة من الارض وجاء جاره واغتصب نصفها وليس بمقدوره أن يعمل شيئا فليس أمامه الا أن يحقد ويكره •

لكن علماء النفس يرفضون هذه المقارنة لان الانسان لا يقارن بالمادة • الانسان يمتلك الشعور والاحساس والادراك والعقل والشاب الذي يحب أمه وأباه واخوته ويحترم انسانية الانسان ويحبها لانه جزء من هذه الانسانية وما دام يمتلك هذا الاستعداد النفسي لهذا الحب فهو يمتلك الاستعداد النفسي أيضا لان يحب فتاة معينة اختارها شريكة لحياته وحبه لهذه الفتاة لن يغير من حبه لامه أو يؤثر على هذا الحب ومن هذا المنطلق يمكن القول : ان الموقف السلبي الذي تتخذه الام حيال زوجة ابنها لا مسوغ له ، واذا وجد مثل هذا الموقف فسببه يعني تدني مستوى الوعي لدى هذه الام ، واذا اتخذت الزوجة مثل هذا

الموقف السلبي أيضا فسببه تدني مستوى وعيها ، ووفق هذا المنظور يجب أن تناقش أيةحالةمنهذا النوع.لكناذا لم يتوافر مثل هذا الوعي ضمن اطار اية أسرةتعيشوتمارس مثل هذهالمواقفالسلبيةفلا بد وأن تترك مثل هذه المواقف آثارا تنعكس علىالبناءالداخلي لهذه الاسرة . وبالتالي تخلق حالة نفسية تعكر صفو حياة هذه الاسرة أو فرد من أفرادها . وقد يكون هذا الفرد الابن الذي أصبح زوجا أو تلك الفتاة التي انضمت الى هذه الاسرة وهذه الحالة النفسية قد تتفاقم وبالتالي تعود تلك الفتاة القادمة الى تلك الاسرة التي عاشت بها ويحدث الطلاق وتنعكس آثاره على الزوج وأسرته والزوجة وأسرتها وعلى الاطفال الابرياء . وكل هذه النتائج المدمرة سببها ارضاء رغبة فرد يفتقر للوعي كان من الممكن توعيته ومنع حدوث ما حدث .

• العلاقة بين أهل الزوج وأهل الزوجة والانعكاسات التي تحدثها هذه العلاقة

ما نزال نناقش نقطة موجودة داخل الاطار الاجتماعي سميناها تمردا على العادات والتقاليد والمعروفة (بالهروب أو الخطيفة) . ناقشناها ضمن اطار العلاقات الاجتماعية السائدة وناقشناها ضمن اطار علاقة الزوجة المتمردة بأهل الزوج بشكل عام ، وعلاقة الزوجة بأم الزوج بشكل خاص . وبينا كيف يمكن أن تعكس هذه العلاقات انعكاسات نفسية على علاقة الزوج بزوجته وبالعكس والان نناقش علاقة قد تكون انعكاساتها السلبية من أهم الانعكاسات التي تنتج ضمن هذا الاطار ، وهذه العلاقة هي علاقة أهل الزوج بأهل الزوجة.

هذه العلاقة لم تكن قائمة بالاصل وسبب قيامها التمرد الذي مارسه الزوج والزوجة ، وهذا يعني أن العلاقة فرضت على أهل الزوج

والزوجة . واخترقت العادات والتقاليد السائدة وفي كلتا الحالتين ليس من السهل القبول بها بالسرعة التي توقعها الزوج والزوجة • وما دامت العلاقة قد فرضت فالخيارات المطروحة أمام أهل الزوج والزوجة محددة ، وتكون هذه الخيارات أكثر تحديدا أمام أهل الزوجة لان أهل الزوج قد يقولون لاهل الزوجة الحق عليكم لان ابنتكم هي التي هربت مع ابننا وابننا لم يأخذ برأينا ولو أخذ برأينا لما سمحنا له أن يقدم على مثل هذا التصرف وكنا نرغب أن نختار لابننا الزوجة التي نراها مناسبة لكن ما حدث قد حدث ، وما علينا الا أن نحل هذه المشكلة بهدوء وتعقل . وقد يقول أهل الزوجة ان ابنكم لعب بعقل ابنتنا وسبب لنا هذه السمعة التي لا ترغبونها لابنتكم ، ومثل هذا الحوار لا يحدث الا ضمن أسرتين يحكم تصرفاتهما العقل وهذا شيء جميل ، وهذا الحوار هو الارضية الصحيحة لحل المشكلة بأسلوب عقلاني •

نحن افترضنا احتمالين ، الاحتمال الاول : رعونة أهل الزوجة الذي قد يؤدي الى حدوث جريمة والاحتمال الثاني : تدخل الاهل والاصدقاء ومعالجة التمرد الذي حصل بطريقة عقلانية ، وكما هو واضح ندين الاحتمال الاول وتؤيد الاحتمال الثاني ، وافترضنا أن الاحتمال الثاني قد كلل بالنجاح لكننا لم نضمن تدخل أهل الزوج وأهل الزوجة في حياة الابن والابنة لانه ما دامت العلاقة بينهما قد بدأت بسبب تمرد مارسه الابن والابنة فلا بد من أن تستمر هذه العلاقة بين مد وجذر . الى أن تستقر بشكل طبيعي وموضوعي ، واستقرارها هكذا يحتاج الى وعي الطرفين ووعي الطرفين قد لا يتوافر وعدم توافره قد ينعكس على علاقة الابن والابنة ، ومن هذا المنطلق نلقي الضوء على تلك العلاقة التي فرضت بالقوة وانعكاس هذه العلاقة

علن من فرضوها ، سمينا الطريقة التي يتم فيها الزواج تمرد اعلى رغبة الاهل وخرقا للعادات والتقاليد وغالبا ما يتم مثل هذا الزواج نتيجة أعجاب أو حب نشأ بين الزوج والزوجة لكن هذا الزواج بحد ذاتـه يمكن أن يكون فيه مصلحة لم تكن منظورة لاحد طرفي هذه العلاقـة الزوج أم الزوجة ، أو يمكن أن يستغل من قبل أهل الزوج أو الزوجة لمصلحة لم تكن معروفة ونحن هنا أمام العديد من الاحتمالات من هذه الاحتمالات .

• الوضع العام للزوجة

أمور أساسية متوافرة في فتاة معينة تلفت انتباه الشاب مثـل جمالها المتميز ، ثقافتها المتميزة ، سمعتها وأخلاقها المتميزتان وضعهـا المادي الجيد سواء كان الوضع متوافر من خلال أهلها أو من خـلال انتاجها هي .

الشاب الذي يختار فتاة ما لجمالها وثقافتها وحسن سلوكها شاب سوي واختياره واع ومشروع واذا تمرد على العادات والتقاليد وتزوج هذه الفتاة فيجب على الجميع أن يباركوا هذا الزواج ، ويحاولوا منع حدوث أية أمور سلبية قد تحدث بسبب تصرف الاهل الذي يفتقر للوعي الكافي . ومن المفروض أن يحاول أهل هذا الشاب استيعاب أهل الزوجة وتحمل انفعالاتهم لتوافر الشروط الموضوعية المتوافرة في ابنتهم لان توافر هذه الشروط مجتمعة ، أو توافر بعضها يشكـل أرضية صحيحة لبناء أسرة تمتلك شروط نجاحها .

قد يعترض البعض على هذه النتيجة ويقول : قد تتوافر هـذه الشروط أو بعضها في الفتاة فعلا لكن من المحتمل أن لا تتوافرالشروط

نفسها في الطرف المقابل الذي هو الشاب وندافع عن رأينا بالقول :
اختيار الشاب لفتاة ما لكونها جميلة لا يمكن أن يكون مقياسا لوعي هذا الشاب ولا لوعي هــذه الفتـــاة امــا اختيار هــذا الشاب لتلك الفتاة لثقافتها أو وعيها أو حسن سلوكها فذلك دليل قاطع على وعــي هذا الشاب هذا من جهة ، من جهة ثانية هذه الفتاة المثقفة والواعيــة يجب أن تكون قد اختارت هذا الشاب لتوافر الشروط نفسها فيه أو بعضها ومن هذا المنطلق نحكم على هذا الاختيار بأنه اختيار سليم •

ناقشنا مسألة الاختيار من قبل الشاب فقط وحكمنا على هذا الاختيار بأنه اختيار سليم ولم نناقش دور أهل الشاب في هذا الاختيار لان هذا الاختيار المتمرد لا علاقة لاهل الشاب به وتم من دون أخذ رأيهم •

أما الاختيا رالخطر على الحياة الاسروية مستقبلا هو أن يكون اختيار هذا الشاب لتلك الفتاة نتيجة لوضعها المادي • ومن المحتمل أن يكون هذا الشاب قد أخذ رأي أهله ووافقوه على أن يتزوجهــا دون معرفة أهلها وشجعوها هي بطريقة ما على الهروب مع ابنهم • وتم الهروب ، وتدخل الاهل والاصدقاء لمنع أية انعكاسات سلبية ونجح هذا التدخل ، وتكونت علاقة ايجابية بين أهل هذا الشاب وأهل تلك الفتاة لكن هذه العلاقة الايجابية بنيت وفي داخلها قنبلة موقوتة لا بد وأن تنفجر ولا بد وأن يترك انفجارها آثارا سلبية •

الزوج سيحاول استثمار النتائج بعد أن نجح مخططه الذي رسمه بعقلية تجارية • ان لم نقل نجاح الصفقة التجارية بواسطة اقناع هذه الفتاة بحبه لها وهو غير معني بما تملك وعندها ستكتشف الفتاة أن هذا الشاب لم يكن معجب بها أو يحبها بل كان معجب ويحب ملكيتهــا ، وستكتشف أن أهل الزوج شجعوها على الهروب معه لملكيتها فقط ،

وسيكتشف أهل الزوجة ان زوج ابنتهم كان يخطط لصفقة تجارية رابحة • وبعد اكتشاف كل هذه الاوراق سيبدأ تدخل الجميع في حياة هذه الاسرة الجديدة سواء كان أهل الشاب قد شاركوا ابنهم في هذه الصفقة أم لم يشاركوا فسيكون لهم دورهم في هذه الصفقة ، ونحن سنناقش في هذه الصفقة على انها في مرحلة الاستثمار •

إقلنا الاوراق أصبحت كلها مكشوفة وبدأ الزوج في مرحلة الاستثمار ، فما هو الموقف الذي ستتخذه هذه الزوجة المخدوعة ؟ قد توافق في البداية برغبة كاملة على أن تدفع لزوجها مبلغا معين من المال ، اما لتأمين سكن أو شراء سيارة أو شراء قطعة أرض أو لعمل تجاري •• الخ • لكن هذا الزوج الجشع سيطلب مرة ثانية وثالثة ولن يكف عن الطلب حتى يستلب كل ملكيتها ، لكن الزوجة قد تمتنع عن الدفع في المرة الثانية أو الثالثة •• الخ وفي حال تمنعها سينعكس هذا الموقف بكل تأكيد على علاقتهما الداخلية وستنشأ داخل هذه العلاقة ثغرة تتسع يوما بعد يوم لاسباب عديدة قد يهجر زوجته أملا في أن ترضخ لطلباته ، وقد يحاول اثارة غيرتها من خلال علاقة يبنيها مع فتاة او امرأة معينة ، وقد يلجأ الى تعاطي السكر والمخدرات ، وقد يتأخر عن البيت الى ما هنالك من أمور معروفة في الواقع الاجتماعي • المشكلة في بدايتها يمكن تحملها لكن استمرارها سيترك أثرا سلبيا على الوضع النفسي للزوجة الامر الذي يؤدي الى رفضه كزوج من الناحية الجنسية ، أو تترك هذه المشكلة أثرا نفسيا على الزوج فيغادر البيت ويحاول أن يبني علاقات معينة مع أصدقاء معينين ، وسيؤثر هؤلاء الاصدقاء بكل تأكيد على علاقته بزوجته ، أو يتعرف على امرأة معينة تهيىء له وضعا نفسيا لا تهيؤه له زوجته فيبدأ يقارن الجديد الذي تحقق خارج البيت بما هو قائم في البيت وتتراكم هذه الامور

الى أن تصبح علاقتهما ببعضهما علاقة مدمرة من الداخل . لم يبق منها سوى رابطة متبقية تربط بينهما . هذه الرابطة متمثلة بالاطفال ، هذه الرابطة قد تمنع الزوج من الاقدام على طلاق زوجته ، اضافة لامور أخرى تمنعه وهي كونه اكتشف أمره كزوج لا يهمه الزوجة الا بمقدار ما تملك ، وهذا سبب كاف لان ترفضه أية فتاة أخرى ، أو زوجة فقدت زوجها اما بسبب الطلاق أو الوفاة ، وسيشكل الاطفال صعوبة كبيرة تمنع العديد من الفتيات أو غيرهن من القبول به كزوج بسبب ما ستعانيه هذه الزوجة بسبب أطفاله .

أما الزوجة فسيكون عندها المسوغات الكافية والقاهرة التي تمنعها من الاقدام على أي تصرف من شأنه ينهي علاقتها مع هذا الزوج الجشع . من هذه الاسباب كونها تمردت على أهلها وعاداتها وبالتالي سيكون استقبال أهلها لها — هذا اذا استقبلوها — فاترا ومزعجا ، وسيكون ، من هذه الاسباب حبها لاطفالها والقبول بالحياة معهم على الرغم من كل هذه الظروف القاهرة المحيطة بها . وسيكون من هذه الاسباب أملها الضعيف في الزواج مرة ثانية لانها أصبحت مطلقة ، وبالتالي فالمطلقة ليست مرغوبة اجتماعيا ، واذا لم تتزوج وحاولت أن تعمل وتستقل في حياتها سيحاصرها المجتمع باتهاماته وستكون كل أعين الناس المحاطة بها في سكنها وعملها تراقبها وتصنع من أي سبب وهمي حقائق لا وجود لها على أرض الواقع . هذا بالاضافة الى نقطة أهم من كل ذلك وهي حياتها الجنسية المدمرة ، لانها اذا ما حاولت ممارسة قناعتها سيطاردها القانون والاهل والمجتمع فتفضل أن تبقى مع زوجها وتتحمل اهاناته على الرغم من أن العلاقة الانسانية بينهما مدمرة ، وهي باختيارها لهذا الحل الاخير تعيش أقسى أنواع الطلاق ، تعيش محرومة من ممارسة حياتها الانسانية ، وتعيش مسلوبة الارادة .

وتعيش تابعة لذلك الزوج الاناني الذي حـول ذاتها الـى موضوع لخدمته وحين استثمر هذا الموضوع الذي هو ذات ، أهمله وتركـه عرضة للقهر والموت البطيء .

تؤكد ما قلناه بعرض حالة من الحالات التي عرفناها ودققنا في بنيتها الداخلية وستكون نهايتها الطلاق الشرعي بكل تأكيد .

نعرض هذه الحالة ونحن ندرك ان للتربية والعادات والتقاليد مواقع مؤثرة ومهمة أسهمت فيما وصلت اليه مع أننا سنخصص بحثا خاصا لاهمية التربية في نجاح وفشل أية علاقة تتم بين شاب وفتاة . نعرض هذه الحالة ونحن ما نزال نبحث في عامل من العوامل التي لها علاقة بالعادات والتقاليد السائدة . هذا العامل الذي عنوناه بدور الاهل في اختيار الزوج او الزوجة .

● **عرض الحالـة :**

سيدة نشأت في أسرة متخلفة ومحافظة ومنغلقة . تزوجت وهي في السنة الثالثة عشر من عمرها استمر زواجها ست سنـوات ، أنجبت أربعة أطفال . توفي زوجها وقررت أن تجند حياتها لتربية أطفالها ، أهل الزوج حالتهم المادية ميسورة . توفي رب الاسرة فوزعت ثروته على أبنائه الخمسة فكان نصيب هذه الزوجة ما يقارب مئة الف ليرة سورية . كان ذلك عام ١٩٧٣ . من منطلق النظرة الدونية للمرأة حاول اخوة الزوج المتوفي التدخل في حياتها ليس هذا فحسب ، بل واستغلالها ماديا . قاومت الضغوط وهي حريصة على أن تبقي علاقتها مع أهل زوجها علاقة جيدة ، لكن اخوة زوجها كانوا يعملون كل ما في وسعهم لمضايقتها واجبارها على ترك أطفالها .

وجهوا لها اتهامات في شرفها واخلاقها وسلوكها واتهموها بتبذير ثروة أطفالها . وبداوا يعبئون أطفالها ضدها من منطلق أن أمهم تسلك سلوكا منافيا للشرف وسمعة العائلة .

تغيرت نظرة أطفالها لها فكان ذلك أكبر طعنة توجه لها ومع كل هذا ضغطت على نفسها وتحملت كل شيء على أمل ان يتفهم أطفالها فيما بعد الحقيقة المرة التي تعيشها . تفاقمت الامور واستطاع اخوة الزوج أن يطلقوها من زوجها المتوفي .

غادرت المحافظة التي كانت تعيش فيها الى محافظة أخـرى ، واستطاعت أن تؤمن وظيفة في احدى وزارات الدولة مضى عليها في عملها ما يقارب العام ، فتعرفت على شاب رسم لها أحلاما وردية بعد أن عرف بطريقة ما ان في حوزتها مبلغا كبيرا من المال عاشت طفولتها وزواجها وبعد وفاة زوجها تنتظر مثل تحقيق هذه الاحلام ، طلب منها أن يتزوجها ، وافقت دون تردد . اكتشفت هذه الزوجة أن زوجهـا متزوج وله ثلاثة أطفال . لكنه كان على خلاف مع زوجته الاولى . حين علمت زوجته الاولى أن زوجها قد تزوج جن جنونها وتدخل أهلها والاقرباء واستقر الرأي أن يستأجر بيتا منفصلا لزوجته الثانية وقرر أن يكون زوجا عادلا بمعنى يعيش يوما في بيت زوجته الاولى ويوما في بيت زوجته الثانية . مرت فترة قصيرة والوضع طبيعي من حيث علاقته الزوجية لكن زوجته الاولى رفضت أن يذهب الى بيت زوجته الثانية . تفاقمت الامور كثيرا الى حد كانت الزوجة الاولى تذهب الى بيت زوجته الثانية لتمنع زوجها من أن يقترب من زوجته الثانية .حاول أكثر من مرة هذا الزوج ان يمارس الجنس مع زوجته الثانية بحضور زوجته الاولى فكانت الزوجة الاولى تعمل كل ما في وسعها وتمنعه من

ممارسة الجنس مع زوجته الثانية • ازدادت الامور تفاقما وتحمل الزوج هذا الوضع لان ما يهمه في الامر هو انتظار الفرصة السانحة لكي يستلب ما تملك زوجته الثانية من اموال •

تركت الزوجة الاولى البيت وذهبت الى بيت أهلها من دون أن تأخذ معها اطفالها ، ازداد الضغط على الزوج ، وكان وضعه الاقتصادي قد بدأ يتفاقم حاول أن يعيد زوجته الى بيته وأطفاله فكان شرط الاهل أن يتم الاتفاق على المهر من جديد ، لم يكن أمامه من خيار الا أن يقبل بشروطهم ، طلبوا خمسة عشر الف ليرة سورية وافق على ذلك لكنه لا يملك ليرة سورية واحدة •

أطلع زوجته الثانية على ما تم الاتفاق عليه فدفعت له المبلغ فورا، ذهب الى بيت أهل الزوجة ودفع المبلغ وعادت الزوجة الى البيت ولم يمض شهر واحد على هذا الاتفاق حتى عادت المشاكل الى ما كانت عليه وأكثر •

الوضع المادي للزوج لم يعد يحتمل وخوف الزوجة الثانية من أن يؤدي به هذا الوضع الى طلاقها لانه غير قادر على تحمل نفقات زوجته الاولى وأطفالها وزوجته الثانية والاجار الذي يدفعه للبيتين •

فكرت الزوجة الثانية أن تغير الوضع المادي لزوجها فاشترت له سيارة بمبلغ ثمانين الف ليرة سورية وسجلتها باسمه دون أن توقعه على أي اثبات يثبت حصوله على هذا المبلغ •

تحققت الصفقة التي انتظرها الزوج طويلا وبدأ يميل الى زوجته الاولى أكثر من الثانية ، ويسهر خارج البيت ويتعاطى المشروبات الروحية • • • الخ •

عندها أدركت الزوجة الثانية أنها قد خسرت كل شيء •

كان يمارس معها الجنس في الاسبوع مرة واحدة فأصبح يمارس معها الجنس مرة واحدة في الشهر ودون رغبة •

انطوت على ذاتها وبدأت تفكر في الحل •

منذ الاشهر الاولى من زواجها أدركت أنها ليست مستقرة ، وبالتالي لن تنجب أطفالا ان لم تكن مستقرة ، بعد أن ادركت أخيرا أنها لن تكون مستقرة مع هذا الزوج المادي والمخادع . اتخذت قرارها بعدم الانجاب •

وبعد أن استمعت الى هذه القصة المأساوية سألتها عدة أسئلة أثبت بعضها وأجوبتها عنها •

سألتها السؤال الاول : لماذا دفعت المبلغ الاول لقاء عودة زوجته الاولى الى البيت علما أنه من مصلحتك أن لا تعود ؟

أجابت وهي تبكي ، حرمت من أطفالي ولا أتمنى أن تحرم أية أم في الدنيا من اطفالها حتى شريكتي في زوجي التي جعلت من حياتي جحيما • ثم سألتها ولماذا دفعت المبلغ الثاني ألم تكوني أنت الاولى به؟

أجابت : فكرت أنني بهذا المبلغ أغير ظروف حياته الاقتصادية ويستأجر لي بيتا بعيدا عن أنظار زوجته وأعيش حياة هادئة وخالية من القلق ولانني لم أكن أصدق انه يمكن أن يتصرف مثل ما تصرف لقاء الجميل الذي قدمته له •

ثم سألتها : وبماذا تفكرين الان ؟ أو ما هي أمنيتك ؟

أجابت : أتمنى أن أعود لاولادي لكن اخوة زوجي لن يوافقوا وبخصة بعد ان تصرفت بما كان معي من مال . وفي الوقت نفسه لن يوافق أولادي لانني حرمتهم وحرمت نفسي من المبلغ الذي كان معي ، ولانهم هم الاولى به هذا من جهة ، من جهة ثانية ما كان يقوله عنـي اخوة زوجي لاولادي عن سلوكي ، لم يعد بامكاني الدفاع عن نفسي لان زواجي يساوي كل ما كان يقال عني .

وأمام هذا الواقع فليس امامي الا ان أرضخ للامر الواقع ، واذا حدث وطلقني زوجي سأعيش وحيدة حتى الموت .

عمر هذه السيدة الان أربعة وثلاثون سنة وهذا السن هو سن الشباب ومن هذا المنطلق لنفرض أن زوجك قد طلقـك فلمـاذا لا تتزوجين للمرة الثالثة ؟

أجابت صدقني كرهت الزوج ، والزواج والرجال . ولم أعـد أصدق أحدا ومن هذا المنطلق لن أتزوج .

• الوضع العام للزوج

حين ناقشنا الوضع العام للزوجة قلنا : ان امورا أساسية متوافرة في فتاة معينة تلفت انتباه الشاب مثل جمالها ، وثقافتها . وسمعتها ، ووضعها المادي ومن خلال مناقشتنا للوضع العام لهذه الزوجة باركنا اختيار الشاب حين اختار الثقافة والوعي والجمال وأدنا اختياره المستند على مصلحة مادية .

ونحن نناقش الوضع العام للزوج ننطلق من الارضية نفسها ، فكل فتاة واعية وراغبة في بناء أسرة ناجحة ، وترك لها حرية اختيار شريك حياتها فمن المؤكد أن تبحث عن امور أساسية يجب أن تكون متوافرة في الشاب الذي اختارته شريكا لحياتها وبخاصة ضمن هذا الاطار الذي نناقشه ، حين تقرر الفتاة التمرد على أهلها وعلى العادات والتقاليد السائدة في البيئة الاجتماعية التي تعيش فيها .

ويجب أن تدرك هذه الفتاة أنها حين تختار شابا لوضعه المادي الجيد كي تحقق ما هي محرومة منه في الحياة الاجتماعية مثل السيارة والبيت وفرش البيت الجيد والسهرات والسفر .. الخ يجب أن تدرك ان تحقيق هذه الحاجات ـ وهي حاجات مطلوبة يتمنى تحقيقها كل الناس ـ دون وعي اجتماعي وثقافي وتربية سليمة توظفها للسعادة ستتحول حياة هذه الفتاة بكل تأكيد بعد حين الى حياة تتمنى فيها لو تزوجت شاب يسكن خيمة على شرط أن يكون واعيا وبحوزته شهادة علمية تكون سنده الوحيد لمواجهة كل الظروف التي يمكن أن يتعرض لها .

لان ذلك الشاب الغني الذي يملك السيارة والبيت و .. والخ ان لم تكن ملكيته نتيجة لانتاجه بل جاءت هذه الملكية بكل الطرق اللامشروعة ، وملكية جاءت بهذه الطرق سواء بواسطة أبيه او بواسطته هو جاءت مخالفة لكل احكام التربية الصحيحة ، وجاءت مخالفة لكل وسائل الكسب المشروع وانسان يملك هذه الثروة من خلال هذه الوسائل لا يستطيع ولا يستطيع أن ينظر الى أي فتاة جميلة أو مثقفة .. الخ الا على انها صفقة تجارية رابحة .

وفي الطرف المقابل حين تختار هذه الفتاة شابا متميز بوضعه

المادي الجيد فقط ، لكن هذا الوضع جاء نتيجة جهده وعرق جبينه ، سيكتشف هذا الشاب بعد حين أن اختياره من قبل هذه الفتاة ما كان طمعا بجماله وثقافته ووعيه ، بل كان تحديدا طمعا بوضعه المادي . وحين يكتشف ذلك سيصاب بخيبة الامل لانه يتمنى بكل تأكيد أن تكون هذه الفتاة قد اختارته هو كرجل ، هو الذي يخلق الوضع المادي الجيد ، لانها خيبة أمل فعلا حين أكون أنا الانسان الذي صنعت الورقة النقدية للتعامل وصنعت الوسائل التي تساعد على زيادة الانتاج وزيادة الاوراق النقدية ، وهذه الزيادة أنا التي وظفتها لخدمتي من خلال شراء السيارة وبناء المسكن وتوفير وسائل الراحة وبالتالي ينظر الي على أنني أساوي بقدر ما أملك من اوراق مادية ووسائل ترفيهية، ولا ينظر الى أنني الانسان الذي أحب الحياة وأحب انسانيتي واحب انسانية الاخرين ، فاذا لم أكن هكذا فما هو الفرق بني كانسان وبين الاوراق النقدية والسيارة ، ووسائل الراحة التي صنعتها وما هي قيمة وجودي في هذا الوجود والفتاة التي تعاملني على أنني عبارة عن كتلة من الاوراق المادية ، فكيف يمكن أن تحس وتشعر بانسانيتي وبصدق عواطفي ونبل تفكيري ؟!

كل هذه المقاييس سيناقشها الشاب الذي يفضل وجوده على أي وجود مادي صنعه الجهد الانساني وسيرفض بكل تأكيد التعامل مع كل من ينظر اليه على انه انسان يملك ويملك فقط .

والنتيجة ستكون ان الفتاة التي تمردت على اهلها والعادات والتقاليد السائدة واختارت هذا الشاب لملكيته . ستكتشف انها لم تتمرد الا على انسانيتها وانها ليست سوى ضحية لخدعة اجتماعية اسمها المادة ، لان ذلك الشاب الذي بذل جهده وعرقه لتأمين حياة كريمة لا يمكن أن يقبل أن تشاركه الحياة فتاة تعاملت معه على أنه

وسيلة لبلوغ سعادة لا مشروعة وسيدافع عن انسانيته أمام هذه الفتاة الجشعة ودفاعه سيأخذ أشكالا متعددة منها الزواج من غيرها اذا كان ذلك متاحا ومنها اهماله لها ومنها طلاقها .. الى ما هنالك من وسائل تجعل هذه الفتاة أن تدفع ثمنا انسانيا واجتماعيا يتساوى مع جشعها ويزيد عنه .

البحث الثانـــي

العلاقة بين الطلاق النفسي واخيار الزوجة من قبل الاهل

- مسوغات اختيار الاهل لزوجة الابن
- أكثر الطرق انتشارا لاختيار الزوجة في المدينة
- موقف أهل العريس من الفتاة المثقفة
- الخطبة في الاسلام
- عرض حالة من الواقع الاجتماعي
- وقفة مع ما هو سائد
- الاهل هم الاساس في تكوين العقد النفسيـة عند أبنائهم

العلاقة بين الطلاق النفسي واخيار الزوجة من قبل الاهل

• مسوغات اختيار الاهل لزوجة الابن

ما يزال الاهل يحتلون المركز الرئيسي في اختيار الزوجة للابن ، والزوج للابنة من منطلق الحرص على استقرار الحياة الزوجية للاسرة الجديدة وتوافر كل شروط نجاح هذه الاسرة ، والشروط المطلوب توافرها كثيرة منها أخلاقية الزوجة وعائلتها ، ووعيها وثقافتها ، وجمالها .. الخ وما ينطبق على الزوجة ينطبق على الزوج اضافة لتوافر شرط أساسي هو وضعه المادي لانه الاساس الذي يوفر السعادة للزوجة ـ هذا من وجهة نظر أهل الزوجة ـ . وطريقة اختيار الزوجة للابن ، والموافقة على زوج الابنة تختلف بين المدينة والريف لاسباب واضحة ومعروفة هي أن الاطار الاجتماعي في الريف اطار ضيق والناس يعرفون بعضهم جيدا ، واذا لم تكن هذه المعرفة متوافرة بشكل جيد فتحقق هذه المعرفة لا يحتاج ذلك الجهد المطلوب توافره في الاطار الاجتماعي الموسع في المدينة .

نقطة ثانية مهمة أيضا ليست متوافرة في المدينة كما هي متوافرة في الريف . وهي أن الشاب بامكانه أن يعرف الفتاة في الريف عن قرب ، وهناك وسائل عديدة متوافرة مثل امكانية زيارة بيت أهل الفتاة دون احراج . ولقاء هذا الشاب أيضا بتلك الفتاة بمناسبات عديدة مثل الافراح والاعراس والاعياد .. الخ .

ان ذلك لا يعني أن اللقاء بين الشاب والفتاة في المدينة غير ممكن، قد يكون غير ممكن ضمن اطار الاسرة ، والاعياد والافراح ولكنه متاح في العمل والجامعة وبوسائل عديدة يتفق عليها بين الشاب والفتاة من وراء ظهر الاهل . أما عندما ينحصر الامر في موضوع الزواج فالفتاة في المدينة تنتظر ذلك الغريب القادم الذي سيختاره الاهل. والشاب يرضخ مشيئة الاهل في اختيارهم لتلك الغريبة القادمة . وعلى هذين الغريبين أن يكوّنا أسرة جديدة وفق اختيار طرف خارجي ـ الاهل ـ ليس هذا فحسب بل يسوغون الاهل هذا الاختيار بأن الحب والتفاهم والسعادة بين هذين الغريبين لا بد وأن يتحقق بعد الزواج .

● أكثر الطرق انتشارا لاختيار الزوجة في المدينة

ما تزال الام هي الاساس في اختيار الزوجة لابنها . والطرق التي تلجأ اليها الام كثيرة ومتنوعة ، من هذه الطرق : قد ترى الام فتاة في الطريق تعجبها فتتبعها خفية حتى تعرف الام بيت هذه الفتاة ، وبعد ذلك تباشر بجمع المعلومات عن أهل هذه الفتاة، ومجرد توافر معلومات ايجابية عنهم تذهب الى منزلهم خطابة . وقد تستدل الام على فتاة بوساطة الاهل أو الجيران أو الاقرباء الى ما هنالك من وسائل معروفة .

الخطوة الثانية تكرر هذه الام زيارتها لمنزل أهل الفتاة ومعهـا ابنها • وفي هذه الزيارة يتم تبادل الاحاديث العاديـة . لان الهدف الرئيسي من هذه الزيارة أن يشاهد الشاب تلك الفتاة ، وقد يجـري حديث بين الشاب والفتاة لكن بحضور الجميع •

الزيارة الثالثة تقوم بها الام ومعها ابنتها أو عمة الشاب أو خالته، ويبدأ الدجل الاجتماعي المكشوف بمعنى الام وابنتها أو الام واختها تقتربان من الفتاة وتبدأ المجاملات بتقبيل الفتاة ولمس شعرها واحتضانها الى ما هنالك من حركات القصد منها اكتشاف عيوب هذه الفتاة ان وجدت • وقد تطلب أم العريس من العروس وأمها الذهاب الى الحمام (حمام السوق) وتهدف من وراء ذلك أن تشاهد جسد الفتاة للتدقيق أكثر والتأكد من خلو جسد هذه الفتاة من العيوب • وتبقى هذه الفتاة في سوق العرض الى أن توافق الام على اقتنائها أو ترفضها ، اما أن يلجأ أهل الفتاة الى اكتشاف عيوب الشاب بالوسائل نفسها فذلـك مرفوض اجتماعيا ، باعتبار أن الشاب ليس فيه ما يعيبه ورجولته لا تقبل مثل هذه الاساليب •

وهناك طرق أخرى معروفة (بالوساطة في الخطبة) ، أي قـد يريد الخاطب أن يعرف أوصاف ما لا يحل النظر اليه من أعضاء المرأة التي يريد خطبتها ويتأكد من سلامتها من العيوب الخفية ، فيرسل امرأة عرفت بالفطنة والفهم لتنظر اليها وتخبره • فقد روي عن النبي محمد أنه أرسل أم سليم بنت ملحان لتنظر له امرأة يريد أن يتزوجها ، وقال لها النبي : شمي عوارضها وانظري الى عقبيها [١] •

---

١ ــ الاغاني ٢/١٤

● موقف أهل العريس من الفتاة المثقفة

ألقينا الضوء على موقف الاهل تجاه الفتاة من حيث شكلها ورائحة جسدها والتدقيق في كشف عيوبه ، لكن موقف أهل العريس من الفتاة المثقفة وبخاصة في أحياء المدن المحافظة فيحتاج الى وقفة متأنية .

هؤلاء الذين يعيشون خارج اطار التاريخ والذين يديرون ظهورهم لتطور الوعي الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وما يفرزه هذا التطور من مفاهيم جديدة ، يرفضون الفتاة المثقفة ويبحثون عن الفتاة الامية التي نشأت في الزوايا الاجتماعية المظلمة ، أي الفتاة التي لم تخرج خارج اطار الاسرة لان عدم خروجها يساوي عندهم فتاة تتحلى بالاخلاق الرفيعة ، فتاة لا يعرفها أحد ، أي بكلمة مختصرة فتاة لم يلمسها أحد ، ولم تتعرف على أحد من الشباب . هذه مقاييس الاخلاق الرفيعة والشرف المصان ، والسلوك الحسن واذا تطرف هؤلاء باتجاه الفتاة التي دخلت المدرسة فيجب ألا تكون هذه الفتاة قد تجاوزت المرحلة الاعدادية ، لان تجاوز هذه المرحلة يعني أن شرف هذه الفتاة وسمعتها وأخلاقها أصبح موضع استفهام . الفتاة التي دخلت المرحلة الثانوية — من وجهة نظر هؤلاء — أصبح فيها من العيوب ما يجعلهم يترددون كثيرا في أن تكون زوجة لذلك العريس المغلوب على أمره والذي وافق على أن تستلب ارادته ويحول نفسه الى نعجة وديعة تتبع راعي هذا البيت الذي لم يسمح لنعاجه أن تخرج خارج مراعي العادات والتقاليد والشرف ، على الرغم من ان هذا الشاب قد يكون متعلما ويحمل شهادات لكن هذه الشهادات لا قيمة لها أمام وعي هؤلاء الاهل المدافعين عن العادات والتقاليد والشرف ، ولان كل العلوم

الحديثة والتطور الحضاري ، والوعي الاجتماعي لا قيمة لها أمام ما قاله الاسلاف ، ولان الذي يكبرك بيوم لا تفهم ما يفهمه الا بعام كامل ، حتى ولو كان هذا الذي يكبرك بيوم أو شهر او عام او اعوام عديدة مشكوك في قدراته العقلية .

أما الفتاة الجامعية فعيوبها لا توصف عند هؤلاء ، وينظرون اليها على أنها فتاة لا تصلح أن تكون زوجة وأم لاطفال ، ومسوغاتهم أن الفتاة التي تدخل الجامعة لا بد وأن تكون قد عرفت الكثير من الشباب ومعرفتها هذه لا بد وأن تؤثر على شرفها وأخلاقها وسمعتها الاجتماعية ، وهذه العيوب تفوق — من وجهة نظرهم — عيوب وتشوهات في جسد فتاة أمية ، وعلى الرغم من هذه النظرة الظالمة والغبية فلهم تصنيفاتهم للفتاة الجامعية .

يفضلون الفتاة الجامعية التي تذهب من منزل أهلها وتعود اليه في اليوم نفسه على الفتاة التي تركت منزل أهلها واستأجرت غرفة في منزل أحد الاسر ويفضلون الفتاة التي استأجرت غرفة في منزل أحد الاسر على الفتاة التي تسكن في المدينة الجامعية الى ما هنالك من تصنيفات لا وجود لها الا في العقول المريضة .

وما يدعو للاسف فعلا ليس نظرة هؤلاء للفتاة الجامعية فحسب بل موقف الشاب الجامعي نفسه حيال زميلته . هذا الشاب حين يتحدث مع زميلته يستعير شخصية مزورة ويظهر نفسه أمام هذه الفتاة بالشاب المثقف والواعي والمتحرر من المبادىء والقيم البالية ، مبادىء وقيم العائلة والعشيرة والقبيلة والاقطاع ، وبهذه الشخصية المزورة قد يخدع هذا الشاب الجامعي فتاة ما ويبدأ يرسم لها الاحلام الوردية عن حياتهما بعد التخرج . بعد هذه المحاولات الخادعة قد تثق فيه هذه

الفتاة وتلاطفه وتعبر عن حبها له بتعبيرات معروفة وحين يصل هذا الشاب الى ما يريد أو الى جزء مما يريده أو اكتشفت هذه الشخصية المستعارة من قبل هذه الفتاة الواعية والطموحة ينسحب ليخدع غيرها • وتكون النتيجة ان هذه الفتاة تبدأ تفقد ثقتها بهذا الشب أو ذاك •

تحدثنا عن شاب مصاب بانفصام الشخصية وبالتأكيد المسؤول عن انفصام شخصيته جهات عديدة متوافرة في الاطار الاجتماعي الذي عاش فيه • من هذه الجهات أولا وأساسا أسرته وطرائق تربيتها له ، ومصدر هذه الطرائق والعادات والتقاليد وتثبيت هذه العادات والتقاليد في العديد من الكتب الصفراء والتي سندقق في مدى صحتها فيما بعد • أما حين نتحدث عن شاب واع ومثقف وصادق في مشاعره والاحلام الوردية التي يرسمها لفتاة أحلامه ويتخذا قرارهما بالزواج فسيصطدم هذا القرار بعقلية أهل هذا الشاب وهنا تبدأ المواجهة ، وغالبا ما ينتصر العقل المتخلف الذي يمثله الاهل على العقل المتفتح الذي يمثله الابن ، ويعود ذلك لاسباب كثيرة منها الوضع الاقتصادي لهذا الشاب أولا وعدم تحدي مشيئة الاهل ثانيا ، والمحافظة على البنية الداخلية للاسرة ثالثا •• الخ •

لقد عايشت كل هذه النماذج من العلاقات في الجامعة • عايشتها مرحلة دراستي الجامعية ، وتقصدت معايشتها من منطلق فهم هذه العلاقات بشكل جيد ليكون حكمي عليها أقرب للموضوعية ، ولانني أشجع وأبارك زواج الشاب الجامعي من زميلته الجامعية ، ولانني أرفض العادات والتقاليد البالية التي لا تستند على أي أرضية موضوعية • والذي ساعدني على معايشتها كوني أتميز عن زملائي

وزميلاتي بمسألتين مهمتين : الاولى كنت أكبر زملائي عشر سنوات والثانية كنت متزوج ولي ستة أطفال • وهاتين المسألتين بتقديري يمنحاني مقدرة على الحكم بعيدا عن الانفعال والتسرع وقريب الى الموضوعية • وبكل أسف العلاقات التي عايشتها وساهمت في نجاحها وانتهت الى الزواج كانت معدودة • والاسباب كما ذكرت تعود للتربية بأحكام العادات والتقاليد وللوضع الاقتصادي وأضيف عليها الكبت الجنسي المفروض من الاهل على بناتهم ، والقناعات المتأصلة في نفوس الشباب التي تسمح لهم اقامة أي علاقة مع أي فتاة دون أن يسمح هذا الشاب لاخته أو احدى قريباته أن تقيم مثل هذه العلاقة • ليس هذا فحسب ، بل هذا الشاب الذي يسمح لنفسه فعل ما يشاء وما يتاح له ، ينظر الى أي فتاة تعاملت معه بعاطفة صادقة وبمودة حقيقية على أنها فتاة لا تصلح أن تكون زوجة له وأما لاطفاله ، معتقدا أن أسلوبها في التعامل معه قد ينسحب على غيره •

وأضيف سببا آخر لكن هذه المرة من جانب الفتاة لان نسبة كبيرة من الفتيات ينظرن الى الزواج على أنه صفقة تجارية يجب أن تكون رابحة ، بمعنى أن الفتاة قد تستهوي شابا معينا وتبني معه علاقة وتظهر رغبتها بالتمرد على العادات والتقاليد ، لكنها تتمسك بما هو أصعب فترفض أن تتزوج شابا مثقفا وواعيا وطموحا مجرد أن وضعه المادي لا يحقق طموحاتها في تأمين البيت وكمالياته وو •• الخ لانها لا تقبل أن يكون وضعها المادي أقل من وضع جارتها أو أهلها أو الناس الذين تعرفهم . على الرغم من أن هذا الزواج المادي غالبا ما ينتهي الى الطلاق النفسي . ومن ثم الطلاق الشرعي • ومع كل هذا فهو المفضل •

نعود للنقطة التي اعتبرناها مركزية وهي اختيار زوجة الابن من قبل أهل الزوج لنناقش السلبيات المحتملة . ونفترض أن أهل الشاب اختاروا لابنهم الزوجة المناسبة . فما هي الصعوبات المحتملة التي ستواجه هذه الاسرة. أول هذه الصعوبات أن طرفي هذه الاسرة الجديدة لم يختارا بعضهما بارادتهما ، وهذا يعني أن على هذه الاسرة أن تخوض تجربة قاسية للوصول الى سمات عامه توافق طبع الطرفين وتفكيرهما ووعيهما وقد تتوافر هذه السمات وقد لا تتوافر ، اذا لم تتوافر فتلك مصيبة لان صعوبات جديدة ستبدأ بالتراكم وتراكمها سيخلق صعوبات جديدة ، والمصيبة الاكبر هي أن تكون هذه الاسرة قد أنجبت أطفالا لان هذه الصعوبات ستنعكس على تربية الاطفال وسلوكهم وهؤلاء الاطفال سيكبرون وهم يحملون معاناة الاسرة التي نشأوا فيها . ليس هذا فحسب بل ستنعكس هذه المعاناة على الاسر الجديدة التي سيصنعها هؤلاء الاطفال مستقبلا .

واذا توافرت واستمرت هذه العلاقة المفروضة من الخارج قد تنشأ صعوبات جديدة لم تكن معروفة ، بمعنى قد يكتشف هذا الزوج بعد حين أن زوجته قبل أن يعرفها كان لها علاقة مع انسان معين ومعرفته بهذه العلاقة ستحطم كل الاحلام الوردية التي رسمها الاهل لهذا الزوج من أن تلك الفتاة تتحلى بالاخلاق الرفيعة والسمعة الحسنة لان معرفته بتلك العلاقة ستجعله يعيد حساباته من جديد ، واعادته لحساباته ستخلق لديه وضعا نفسيا جديدا سيؤثر على علاقته بزوجته بكل تأكيد . وقد يدفعه هذا الوضع النفسي الجديد أن يهمل زوجته ويبحث عن اقامة علاقات جديدة . هذا الوضع سيترك انعكاسات من الصعب تحملها وتكون النتيجة تدمير هذه العلاقة التي هي مدمرة أصلا لانه ليس لاحدهما علاقة في اقامتها .

من جهة اخرى قد تكتشف هذه الزوجة بطريق المصادفة أو زوجها قد سلك سلوكا ما مع انسانة ما ، وهذا السلوك كان بريئا لا يتعدى المجاملات الاجتماعية ، وحرص هذه الزوجة ألا تدخل علاقتهما أي شائبة قد تعبر عن امتعاضها لسلوك زوجها ، وستنشأ غيرة هي في الاصل غيرة وهمية ، والاثر الذي تركته هذه الغيرة الوهمية قد تتحول الى مشكلة . ونقترب من عمق المشكلة ونفترض ان السلوك الذي سلكه الزوج لم يكن وهميا ، والذي دفعه لهذا السلوك قد يكون نقصا في زوجته ومتوافرا في الطرف الذي سبب اعجاب الزوج وامتعاض الزوجة .

أمام هذا الوضع ألم يكن حريا بهذه الزوجة أن تضغط على أعصابها ، وتحاول استيعاب ما بدر من الزوج على طريق محاولة معالجة النقص الحاصل ؟ وبالتالي تحصين هذا الزوج بالشكل الذي يجعله مقتنعا بزوجته ، وابتعاده عن أي سلوك آخر بسبب امتعاض هذه الزوجة ؟.

ونفترض أن السلوك الذي سلكه الزوج سلكته الزوجة ، أليس حريا بهذا الزوج أن يعالج ما حصل اذا كان ممكنا معالجته وبشكل لا يؤذي أحدا منهما ؟ ولو كان هذا الزوج وتلك الزوجة قد اختارا بعضهما بارادتهما عن قناعة وفهم ، ألم يكن بالامكان معالجة ما ينشأ بينهما من أمور جديدة منطلقين من الارضية التي جمعتهما ليكونا أسرة جديدة ؟ ومع كل هذا فان الاختيار الحر من قبل الشاب والفتاة لا يعني الغاء صعوبات جديدة تنشأ في كل أسرة ، وحين نعرض ما هو سائد في مسألة اختيار زوجة الابن من قبل الاهل وشروطهم التي يجب أن تتوافر في الفتاة الصالحة ، فلاننا نرفض هذا الاسلوب القسري الذي سيترك انعكاساته بكل تأكيد على الاسرة المكونة قسرا ، وعلى المجتمع

الذي تشكل هذه الاسرة جزءا منه ، ورفضنا لهذا الاسلوب لا يعني على الاطلاق الغاء دور الاهل ، بالعكس نحن مع الدور الذي يقوم فيه الاهل على شرط أن يكون هذا الدور ايجابيا أولا وأن يترك القرار الاخير للشاب والفتاة أن يختار كل منهما شريك حياته ثانيا .

واذا حصل ورأينا أسرة متكونة باختيار حر وفشلت هذه الاسرة، فان فشلها بكل تأكيد أسهل من فشل أسرة تشكلت قسرا لان فشل الاولى يتحمل مسؤوليته اثنان بينما فشل الثانية يتحمله أناس كثر .

في عاداتنا وتقاليدنا ايجابيات كثيرة مطالبين بالتمسك بها وتوسيع اطار انتشارها ، ومن عاداتنا وتقاليدنا التي تتمسك بها الكثير التي لا بد وأن ندقق في مصادرها .

عاداتنا وتقاليدنا يغلب عليها الطابع العربي ما قبل الاسلام،والتي تبناها الدين الاسلامي ، ومن عاداتنا وتقاليدنا ما يغلب عليها الطابع العربي ولم يتبناها الاسلام . ومن الطبيعي أن يكون المسلم المتمسك بدينه أكثر الناس حفاظا على التقاليد العربية التي تبناها الاسلام والمفاهيم الجديدة التي جاء بها الاسلام .

وما نود عرضه من هذه العادات والتقاليد والمفاهيم الجديدة التي جاء بها الاسلام والتي أصبحت جزءا كبيرا من العادات والتقاليد فمفهوم الخطبة في لاسلام التي هي الخطوة الاولى لتكون الاسرة الجديدة .

● الخطبة في الاسلام

لما جاء الاسلام وفرض الحجاب على المرأة الحرة تمييزا عن المرأة المسترقة (الامة) عزلت الحرة عن مجتمع الرجال ولم يعد يباح لها أن تظهر الا امام من حرمت عليه من أقربائها ، فاذا ظهرت أمام

الغرباء فتظهر محجبة ولا يبدو منها غير وجهها وكفيها • وقد أجيز لمن أراد أن يتزوج أن ينظر الى وجه المرأة وكفيها ففيهما يتجلى ما فيها من حسن ونضارة وشباب ، وقد روي أن رجلا من المهاجرين أتى الى النبي محمد وأخبره أنه خطب امرأة من الانصار ، فقال له النبي أنظرت اليها؟ قال : لا ، قال : اذهب وانظر اليها ، فان في أعين الانصار شيئا (1) • وذلك أن في أعين نساء الانصار زرقة ، وقيل ضيقا ، وقد لا يروق هذا للخاطب • وجاء المغيرة بن شعبة الى النبي ويخبره بأنه خطب امرأة ، فقال له : أنظرت اليها ؟ قال : كلا ، قال له : اذهب وانظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما (2) •

وروي عن النبي قوله : اذا خطب أحدكم المرأة ، فان استطاع أن ينظر الى كل ما يدعوه الى نكاحها فعل(3) •

ويروى أن عمر بن الخطاب ، خطب الى علي بن أبي طالب ابنته ام كلثوم ، فرأى علي أن يرسلها الى عمر لينظر اليها دون أن تدري البنت بذلك ، فأمر ببرد فطواه وقال لابنته : انطلقي بهذا الى أمير المؤمنين فقولي له : أرسلني ابي يقرئك السلام ويقول : اذا رضيت بالبرد فأمسكه ، وان سخطته فرده • فلما أتت عمر قال : بارك الله فيك وفي أبيك . قد رضينا ، ورجعت البنت الى أبيها فقالت : ما نشر البرد ولا نظر الي ، فزوجه اياها ، فولدت له زيدا ورقية • وقد استخلص الفقهاء من هذه الاحاديث والاخبار جواز النظر الى المخطوبة والتأمل في محاسنها . كما أجازوا التحدث اليها وليست الرؤية مقصورة على الرجل ، وانما أجاز الاسلام للمرأة أن تنظر الى خاطبها ، وان تعدد الخاطبون ، فلها أن تختار منهم من يميل الى قلبها •

---

1 ــ رواه مسلم والنسائي : التاج 317/2 تيسير الوصول 259/4
2 ــ رواه مسلم والترمذي : التاج 317/2 تيسير الوصول 259/4
3 ــ عيون الاخبار 1/4

هكذا نجد أن الاسلام أجاز أن يرى الشاب خطيبته ويتحدث معها ، وأجاز أن تختار الفتاة شريك حياتها ، ورفض الاسلام أن يكون للخلافات المذهبية تأثيرها على اختيار الزوجة أو الزوج • أجاز الاسلام كل ذلك والعديد من المسلمين يرفضون أن يتحدث شاب غريب مع ابنتهم ، ويرفضون أن يزوجوا ابنتهم لشاب ينتمي الى مذهب يختلف مع مذهبهم ضمن اطار الدين الواحد ليس هذا فحسب بل يرفضون أن ينام الشاب مع أخته في غرفة واحدة ، ومع كل هذا يعتبرون أنفسهم أنهم هم وحدهم المتمسكين بالدين الاسلامي والمدافعين عنه،ومتمسكين بالعادات والتقاليد ويمنعون اختراقها وما دام النبي محمد هو صاحب الكلمة الفصل في هذه الامور وله رأيه المحدد فمخالفة رأيه ماذا تعني ؟ واذا كان علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب قد نفذا توجيهات النبي محمد فنحن الذين نخالفها فأين يجب أن نصنف ؟

نكتفي بما أوردنا من حجج نهدف من خلالها التدليل على ما يمارس خطأ في واقعنا الاجتماعي ، ولنؤكد ان نتائج هذه الممارسة الخاطئة تؤثر في علاقة الزوج بزوجته وتدمر هذه العلاقة من داخلها وفي اللقاءات الميدانية التي أجريناها في العديد من محافظات هذا القطر وجدنا ما لم نكن نتوقعه ، وجدنا الالم النفسي الذي يعاني منه الزوج والزوجة ، ووجدنا النتائج المخيفة من جراء هذا الالم النفسي التي سببت ألما نفسيا لابرياء لا علاقة لهم في الاسباب التي أدت الى مثل هذه النتائج • وجدنا الطلاق النفسي بكل أنواعه ، ووجدنا الزيادة المتسارعة في الطلاق الشرعي وتتوقع أن يزداد الطلاق النفسي والشرعي لتوافر عوامل جديدة لم تكن موجودة وهذه العوامل سنعرضها وتناقشها في مكان آخر من هذا الكتاب •

• عرض حالة من الواقع الاجتماعي

فيما يلي نعرض نموذجا عرفناه عن قرب في احدى محافظات القطر العربي السوري يمثل تماما تدخل الاهل في اختيار زوجة الابن وحرمان هذا الابن من أبسط حقوقه الطبيعية والانسانية ، ليس هذا فحسب بل وحرمان زوجته أيضا من حقها في اختيار شريك حياتها ، وتكبيلها بالعادات والتقاليد التي تمنعها حتى من التعبير عما تعانيه

مضمون الحالة المختارة :

والدة هذا الشاب تزوجت في المرة الاولى وهي في الثالثة عشر من عمرها ، عاشت ضمن اطار أسرة فقيرة محافظة يهمها كثيرا التقيد بالعادات والتقاليد ، ويهمها أكثر المحافظة على الزواج الداخلي ، أي الشاب يجب أن يتزوج احدى فتيات هذه الاسرة الموسعة ، والفتاة يجب ألا تخرج خارج هذه الاسرة . لكن التدقيق في زوجة الابن مسألة مهمة جدا كي لا يدخل هذه الاسرة عنصرا نسائيا غريبا .

والدة هذا الشاب لم يستمر زواجها أكثر من عام لان زوجها الاول تعرف على فتاة من خارج اطار الاسرة وأدت علاقته مع هذه الفتاة الى طلاق زوجته .

تزوجت والدة هذا الشاب للمرة الثانية من رجل عاش طفولته وشبابه ضمن هذه الاسرة وبرعايتها ولان والدة هذا الشاب المطلقة أصبح من الصعب أن يتزوجها واحد من شباب هذه الاسرة لانها مطلقة والنظرة للمطلقة معروفة .

أنجبت هذه السيدة من زوجها الثاني عشرة أولاد وكان هذا الشاب هو الولد البكر .

تعرف هذا الشاب على فتاة من من خارج اطار الاسرة وهو في سن المراهقة ، وحين علم والديه بعلاقته أسرعا في زواجه واختارا له ضحية من داخل هذه الاسرة هو لا يريدها وهي لا ترفضه : حاول أن يقاوم رغبة والديه لكنه لم يفلح رضخ للامر الواقع وتزوج تلك الفتاة التي اختيرت له .

الفتاة التي كان بينه وبينها علاقة ابتعدت عنه حين علمت أنه خطب احدى قريباته ، ولانه غير مقتنع بخطيبته بدأ يبحث عن غيرها .

الاختيار الثاني لهذا الشاب لم تكن فتاة من سنه بل كانت امرأة متزوجة تكبره بالسن وتقترب من سن والدته ، أعطته ما لم تعطه عشيقته الاولى وخطيبته وتمركزت عواطفه ومشاعره وغريزته الجنسية عند هذه المرأة . ولشدة مراهقته والقهر الذي تعرض له من قبل والديه وبخاصة والدته ، كان يصدر لهذه السيدة أوامر خاصة جدا بمعنى أنه كان يطلب منها ألا تسمح لزوجها الاقتراب منها وكانت تفعل ـ هذه رواية الشاب وأعتقد أنه صادقا ـ وكان بامكانه أن يتأكد من أن أوامره تنفذ لان منزل هذا الشاب مواجه لمنزل تلك السيدة . ولكي يتأكد من أن هذه السيدة تنفذ أوامره كان يراقبها من على سطح منزله وكان يسمعها وهي تقول لزوجها : ابتعد عني لن أسمح لك بالاقتراب مني الا بعد عشرة أيام ـ وكان هذا أحد طلبات هذا الشاب المراهق ـ وكانت ترفع صوتها كي يسمعها ذلك الشاب الذي يراقب الوضع كالحارس على سطح منزله .

وفي احدى المرات رفضت تنفيذ رغبته بعدم السماح لزوجها الاقتراب منها فاتخذ قراره بمقاطعتها . وبعد عدة ايام استطاعت ان تستقدمه الى منزلها ، وحين حاولت أن تبرر له عدم تمكنها من تنفيذ رغبته ، وجه لها ضربا مبرحا ومع كل هذا حاولت ارضاءه .

تزوج هذا الشاب خطيبته تنفيذا لرغبة والديه ورغبة أهل الفتاة لكونهما من عائلة واحدة ، وقبل أن يدخل على خطيبته ، ذهب الى منزل هذه السيدة وجلس معها مدة ساعتين ، وعاد الى تلك المخلوقة التي تنتظره ليتعامل معها في تلك الليلة ــ ليلة الدخلة ــ كالرجل العاجز في سنه السبعين .

استمرت حياته مع زوجته بين مد وجزر واستمرت علاقته مع تلك السيدة بشغف كامل . تأكدت زوجته المغلوب على أمرها من عواطفه الفاترة تجاهها وهي مقتنعة أنها لا تستطيع أن تفعل شيئا . وكانت قد أنجبت طفلا خلال هذه الفترة وكان زوجها ما يزال يؤدي الخدمة الالزامية .

أنهى خدمته الالزامية وبدأ ينتج ، وكان دخله جيدا ، وحاول والديه الحصول على دخله من منطلق كونه يعيش ضمن الاسرة ومن منطلق حرص والده على تأمين مستقبله لان والده أقدر منه على التصرف في دخله . لكن هذا الشاب رغب أن يتصرف بدخله دون أي ضغط عليه . نشأ خلاف بين هذا الشاب ووالديه وترك المنزل على أثر هذا الخلاف وبقي خارج البيت هو وزوجته أكثر من شهرين فاضطر بعد ذلك والده أن يعيده الى البيت ويتركه حر التصرف في دخله .

على الرغم من الظروف التي واجهها هذا الشاب لم يقطع علاقته مع تلك السيدة . لكنه كان قد طلب منها أن تستأجر منزلا بعيدا عن منزل أهله كي لا يكتشف أمرهما ففعلت ، واستمرت لقاءاتهما دون خوف ــ هذا ما رواه ــ .

وعندما سألته عن امكانيته لاطلاعي على خصوصياته وافق واثقا

مطمئنا لهذا التدخل وطالبا التوجه ومؤكدا أنه لم يبح بها لاي انسان من قبل .

قلت له : زوجتك شابة وليس فيها ما يعيبها وصديقتك كبيرة في السن وفيها كل العيوب فلماذا لا تحاول بناء علاقة صحيحة مع زوجتك وبالتأكيد فان ذلك سيريحك نفسيا .

فأجاب : زوجتي لا ذنب لها وليس فيها ما يعيبها وهي خلوقة ومؤدبة وتحملت مني الكثير لكنني لا أملك الاستعداد النفسي للتعامل معها ، وقد حاولت وفشلت .

سألته عن صديقته قائلا : هل تحدثني عن ظروف صديقتك ؟
أجاب : صديقتي فرض عليها زوجها كما فرضت علي زوجتي وهي ترتاح لي وأنا أرتاح لها .

ثم سألته : أليس مطلوبا منك أن تأخذ بالحسبان اكتشاف أمركما من قبل زوجها ؟ واذا ما اكتشف ذلك هل تستطيع أن تتوقع النتيجة التي يمكن أن تحصل ؟

ابتسم ابتسامة كلها ثقة بالنفس . وقال : اسمع يا صديقي كل ذلك أعرفه وأتوقعه لكنني متأكد من أن زوجها لن يكتشف ذلك .

سألته : كيف ؟ وأجاب أن زوجها من أسرة محافظة جدا ومن المستحيل أن يدخل البيت دون استئذان فيقرع الجرس ويقول : يا الله يا الله بصوت عال ، وكثيرا ما حدث ذلك وأنا عندها في البيت تفتح له البيت وتدخله الى غرفة الجلوس وتقول له : عندي جارتي أو صديقتي وهذا يعني انه لن يقترب من غرفة الضيوف اطلاقا .

فأنهي زيارتي لها وأغادر البيت دون أن يعلم شيئا . وأنهى حديثه مبتسما ومتسائلا عما اذا كنت أنا لا أزال خائفا عليه أم لا ؟

• وقفة مع ما هو سائد

• الاهل هم الاساس في تكوين العقد النفسية عند أبنائهم

النموذج الذي عرضناه يمثل وضعا اجتماعيا قائما في الريف والمدينة وان كان هناك تمايزا بين الريف والمدينة وبخاصة ما يتعلق في سلوك الزوج الذي يعيش حياته في الريف والذي كان زواجه وفق مشيئة اهله تكون الخيارات محددة أمامه . اذا فكر أن يقيم علاقة مع انسانة ما فلن تستمر هذه العلاقة الا فترة قصيرة جدا حتى تكتشف. وبعد أن تكتشف هذه العلاقة توجه أصابع الاتهام اليه والى من أقام العلاقة معها وهذا يعني أن العلاقة اللامشروعة لا تلبث أن تحاصر فاما أن تتحول الى علاقة سرية جدا ، وسرية هذه العلاقة يخلق وضعا صعبا لدى الطرفين ، وقد ينتج عن هذه العلاقة خلافات بين أهل هذا الزوج وأهل تلك الانسانة .

سميناها علاقة لا مشروعة لانها هكذا من وجهة نظر المجتمع لانها ان كانت بين هذا المتزوج وبين انسانة متزوجة فهي علاقة ليست مشروعة فعلا . وان كانت بين هذا المتزوج وبين فتاة ، فهي أيضا ليست مشروعة لا من وجهة نظر المجتمع ، ولا من وجهة نظر الزوجة وأهلها وأهل الزوج في أغلب الاحيان . لكنها مشروعة من وجهة نظر الزوج وتلك الفتاة ، لان هذا الزوج مقتنع بهذه العلاقة والدين يسمح له بذلك ، ومشروعة من وجهة نظر الفتاة لانها متتنعة أن ذلك

من حقها • وفي كل الاحوال فان مثل هذه العلاقة تسبب ألما نفسيا سواء فشلت هذه العلاقة أم نجحت ، لان العوامل التي أدت الى فشل هذه العلاقة عوامل خارجية وخارجة عن ارادة الطرفين اللذين أقاما العلاقة ، أو لان هذا الشاب المتزوج مصاب بألم نفسي قبل أن يقيم مثل هذه العلاقة وهناك أسباب كثيرة تكون قد دفعت الشاب الى هذه الحالة وأهمها :

١ ـ فشل الشاب في بناء علاقة متينة مع زوجته •

٢ ـ عدم قناعته بزوجته التي فرضت عليه من قبل الاهل •

٣ ـ افتقار الزوجة للاسلوب الذي يريح الزوج •

٤ ـ طريقة أهل الزوج في تربية الزوج أو طريقة أهل الزوجة في تربية ابنتهم •

٥ ـ عقم الزوجة أو رغبة المرأة في كثرة الانجاب •

٦ ـ الزواج المبكر •

٧ ـ تغيير الوضع المادي للزوج •

٨ ـ تغيير وضعه الثقافي •

٩ ـ تشكل قناعات جديدة الى ما هنالك من أسباب لا حصر لها •

في المدينة تختلف الامور باختلاف الريف عن المدينة : واذا كانت الخيارات في الريف محدودة ففي المدينة تتسع دائرة الخيارات والزوج الذي فرض عليه الزواج في المدينة لم يستطع الانسجام والتفاهم مع زوجته قد يفكر في الطلاق • بينما نظيره في الريف يفكر في الزواج مرة ثانية وبالمقارنة بين الريف والمدينة نرى تعدد الزوجات

في الريف وارتفاع نسبة الطلاق في المدينة •

في المدينة الامكانات متاحة أمام الرجل والمرأة في اقامة العلاقات اللامشروعة ، وهذه العلاقات توفر كل الشروط لتدمير العلاقةالداخلية بين الزوج والزوجة • متوافرة امام الرجل ضمن اطار عمله ، ومتوافرة من خلال علاقة الرجل مع أصدقائه والاماكن التي يرتادها : ملاهي ، مسارح ، سينمات ، مطاعم ، استراحات •• الخ •

متوافرة أمام المرأة من خلال العمل والجارات ، وبعض النساء المنحرفات في الحي ، وصالونات التجميل • لكن اقامة مثل هـــذه العلاقات اللامشروعة متوافرة أمام الرجال أكثر من النساء نتيجةالقيود المفروضة على المرأة وتحرر الرجل من هذه القيود ، لكن ذلك لا يلغي أو يخفف تدمير العلاقة الداخلية بين المرأة والرجل لان العلاقات التي يقيمها الرجل لا بد وأن تنعكس على علاقته الداخلية مع زوجته •

العلاقات اللامشروعة التي يقيمها الرجل ستظهر انعكاساتها من خلال غيابه عن المنزل ، وستظهر من خلال ارباك الوضع المادي للاسرة، وستظهر من خلال برودة العلاقة بين الزوج وزوجته•وهذه الانعكاسات ستخلق عند المرأة الشك في زوجها وفقدان ثقتها به ، وهذا الوضــع الناشيء يمكن أن يدفع المرأة الى اقامة علاقات لا مشروعة ، أو يدفعها الى طلب الطلاق من زوجها ، أو يدفعها الى خلق ارباكات داخل الاسرة تؤثر على الدخل المادي للاسرة ، وتؤثر على تنشئة الاطفال •

والعلاقات اللامشروعة التي يقيمها الزوج تترك احتمالات كثيرة وخطيرة على علاقته مع زوجته وسلوكه في عمله ، وعلاقاته في معارفه •

قد يلجأ الى تعاطي الكحول والمخدرات وقد يلجأ الى تغيـــير

وضعه المادي بكل الطرق اللامشروعة ، وقد يمارس القمار والنتيجة بكل تأكيد ستكون هدم بنيان هذه الاسرة •

كل ما عرضناه موجود في الواقع الاجتماعي وكل ذلك يسبب قناعات الاهل المفروضة على الابناء • ولو ناقشنا قناعات الاهل في مسألة اختيار الزوجة للابن واختيار الزوج للابنة وحللنا هذه القناعة لوجدنا أن الاهل يمارسون هذه القناعات من خلال حرصهم على تأمين السعادة لابنائهم ، ولكي يبعدوا أبنائهم عن المعاناة التي يشاهدونها في الواقع الاجتماعي ، لكن وعي هؤلاء الاهل لا يمكنهم بكل تأكيد على اكتشاف الاسباب التي تخلق مثل هذه المعاناة ، من جهة ثانية تمسكهم بالعادات والتقاليد يؤثر على تفكيرهم ويمنعهم من أن يناقشوا السلبيات الموجودة في تلك العادات والتقاليد •

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ، كيف يمكن التأثير في قناعات الاهل ؟ ومن هي الجهة المسؤولة عن ذلك ؟ ونجيب عن السؤال بالقول : الدولة مسؤولة والمنظمات الشعبية مسؤولة ، والابناء مسؤولون ، الدولة مسؤولة من خلال قيادة المسألة الثقافية والاعلامية والتربوية • ومسؤلية الدولة تكمن في ضرورة التركيز على نشر الافكار التي تمكن الاهل والابناء من الاختيار الصحيح ، ومسؤولية الدولة تكمن في اعادة النظر بقانون الاحوال الشخصية ومعالجة الثغرات الموجودة فيه ، ومسؤولية المنظمات الشعبية تكمن في ردم الهوة التي تفصل بين الشاب والفتاة وتحطيم جدار الخوف بينهما ، ومسؤولية المنظمات الشعبية هي صقل شخصية أبناء الجيل ودفعهم باتجاه تحمل المسؤولية واتخاذ القرار المسؤول •

ومسؤولية الابناء بناء الذات الثقافية ليكون بمقدورهم استقطاب

الاهل ودفعهم باتجاه احترام قناعات ورغبات ومسؤولية الابناء أيضا الاعتماد على النفس مع المحافظة على تمتين العلاقات الاسرية ، والتمرد على أي قرار يتخذه الاهل فيما يتعلق باختيار الزوجة أو الزوج اذا كان هذا القرار لا يحقق رغبة الابن أو الابنة لان التمرد على هذا القرار أسهل بكثير من التمرد عليه بعد حين ومعالجة التمرد على قرار الاهل أسهل بكثير من معالجة نتائجه المحتملة .

قرار الاهل في البداية يؤثر في الابن أو الابنة فقط ، لكن بعد حين سيؤثر على أسرة بكاملها ، وقد ينتقل هذا التأثير الى أهل الزوج وأهل الزوجة . ومن هذا المنطلق، فاننا نشجع على عدم الرضوخ لقرار الاهل اذا كان هذا القرار لا يستند على أسس موضوعية ، اذا كانت احتمالات فشله أكثر من احتمالات نجاحه . واذا حرم الابن من كل حقوقه وحرمت الابنة من كل حقوقها فحقهما في اختيار حياتهما الاسرية يجب أن يكون وفق رغبتهما وارادتهما ومن لا يمتلك هذا الحق لن يكون عنصرا فعالا في الحياة ، ولن يكون أكثر من مخلوق منفعل مسلوب الارادة ضعيف الشخصية .

الفصل الثالث

الغيرة ودورها في الطلاق النفسي

- تعريف الغيرة
- الغيرة ولسان العرب ووقفة نقدية
- العلاقة بين الملكية وتعدد الزوجات والغيرة
- العلاقة بين الغيرة والوعي
- العلاقة بين الغيرة والخيانة الزوجية

الغيرة ودورها في الطلاق النفسي

• تعريف الغيرة

الغيرة ألم نفسي ينتاب المرء اذا وجد ان ما كان يأمل ان يكون له قد اضحى لغيره ، او طمع ان يكون له ما في يد غيره ، ولم تكن له قدرة على امتلاكه اعتقادا منه انه احق به من هذا الغير .

• الغيرة ولسان العرب ووقفة نقدية

الغيرة ظاهرة ضعف يشعر بها الضعيف نحو القوي ، والادنى نحو الاعلى ، وتثير في نفس الغيور الحقد والكراهية ويستوي الشعور بالغيرة في الرجل والمرأة ، غير أنها في المرأة أظهر ، وأظهر ما تكون في الضرائر ، لان ميل الرجل الى احدى زوجاته يهيج غيرة الاخرى ، ويدفعها الى الكيد لها . وتستعين النساء بالسحر في اجتذاب الزوج وصرفه عمن استأثرت به ومال قلبه اليها . وكانت ساحرات العرب يمارسن السحر عن طريق التأخيذ ، وهو رقية (تعويذة) تتلوها الساحرة ... وكانت نساء العرب قبل الاسلام يقصدن السواحر لتأخيذ أزواجهن ، فاذا حملت المرأة الخرزة المرقية ، تحول زوجها اليها وانصرف عن ضرتها .

ومن هذه الخرزات أنواع والوان . فمنها الكـرار والهمـرة ، ومنها الصدحة ومنها الدرييس . ولكل منها رقيـة • فرقيـة الكرار والهمرة : يا كرار كريه . يا همرة همريه . ان أقبل فسريه . وان أدبر فضريه ••

ومن أنواع الخرزات خرزة تعرف بخرزة (السلوان) فكانت تسحق وترقى وتسقى للعاشق فيسلو محبوبته التي أخذت بلبه واستولت على عقله . وقلبه ويشفى من علته •

هذا مما جاء فيه (لسان العرب) عن الغيرة • ولسان العرب كما هو معروف مرجع تاريخي مهم ومعتمد ، لكن ذلك لا يمنع الباحث عن التدقيق في بعض النصوص اذا كان هذا الباحث يرى ضعفا في هـذا النص أو ذاك أو يرغب أن يضيف اضافة معينة يعتبرها مفيـدة وان كانت هذه الاضافـة خاضعة لنقد ونقض باحث آخر وهذا ما يجب أن يكون •

من هذا المنطلق نعود الى ما جاء في (لسان العرب) ونثبت المقطع التالي لتسليط الاضواء عليه :

جاء في (لسان العرب) : « الغيرة ظاهرة ضعف يشعر بها الضعيف نحو القوي ، والادنى نحو الاعلى ، وتثير في نفس الغيور الحقدوالكراهية ويستوي الشعور بالغيرة في الرجل والمراة ، غير انها في المراة أظهـر ، وأظهر ما تكون في الضرائر •

قراءة متأنية في هذا النص تدفعنا للقول :

أولا :

الغيرة ليست دائما ظاهرة ضعف يشعر بها الضعيف نحو الاقوى، والادنى نحو الاعلى • وندلل على ذلك بالمثال التالي :

شاب اختار فتاة لتكون شريكة حياته ، وبين هذا الشاب وتلك الفتاة تباينا واضحا في الثقافة أو الجمال .. الخ أي أن هذا الشاب يفوق هذه الفتاة ثقافة وجمالا وعلى الرغم من ذلك قد تستهوي هذه الفتاة شابا لا تتوافر فيه هاتين الميزتين الاساسيتين . فاقدام هذه الفتاة على هذا التصرف قد يثير غيرة هذا الشاب ، لكن غيرة هذا الشاب ليست ناتجة عن ضعفه بكل تأكيد لان ميزات هذا الشاب التي حددناها تبحث عنها أي فتاة واعية ، وانما هذه الغيرة ناتجة عن قناعته في هذه الفتاة وقد تظهر غيرته وفي داخله حزن عميق مرده عدم مقدرة هذه الفتاة على الاختيار ، وما ينطبق على الشاب ينطبق على الفتاة .

ثانيـا :

لن نوافق على أن الغيرة تثير في نفس الغيور الحقد والكراهية لان الحكم هنا حكما عاما ونحن نرى أن هذه الشمولية فيها شيء من التجني .

صحيح أن الغيرة تثير في نفوس البعض الحقد والكراهية ، لكن هذا البعض وعيه محدود بكل تأكيد ولو لم يكن كذلك لواجه الموقف الذي سبب الغيرة بمنتهى التعقل . وندلل على ذلك بالافتراض التالي:

شاب وفتاة اختارا بعضهما بملء حريتهما ، وبعد مضي فترة على زواجهما اكتشف هذا الرجل أن زوجته لم تعد مندفعة نحوه كما كانت في بداية علاقتها معه في فترة ما قبل الزواج وما بعده لاسباب قد تكون معلنة وقد تكون غير معلنة . واكتشف هذا الرجل أيضا أن الزوجة عبرت عن ذلك من خلال اعجابها برجل محدد ، وليس بينها وبين هذا الرجل أية علاقة . ومع ذلك فان مجرد اظهار اعجابها قد يثير غيرة زوجها وغضبه ... الخ .

أمام هذا الموقف كيف يمكن أن يتصرف هذا الرجل ، هل يحقد على زوجته وعلى ذلك الرجل بمجرد اظهار هذه المرأة اعجابها بذلك الرجل ؟ أم يعتبر ان ذلك مسألة هامشية وعابرة ؟ وهذا الرجل الذي نال اعجاب زوجته يستحق ذلك ويستحق أن يظهر اعجابه هو به ؟ أم أن اعجاب زوجته يثير فيه غيرته وحقده ومن ثم يقوده ذلك الى تصرف يرفضه في الوضع الطبيعي ؟.

نذهب بعيد في افتراضنا ونقول : ان اعجاب هذه المرأة بذلك الرجل تطور الى علاقة معينة اكتشفها زوجها فيما بعد وحيال ذلك ما هو التصرف الذي يجب أن يتصرفه هذا الزوج ؟

اكتشاف الزوج لهذه العلاقة لا بد وأن تسبب له طعنة مؤلمة بكل تأكيد لانه على الزوجة أن تصارح زوجها منذ أن اكتشفت انه لا يمكن أن تستمر علاقتها مع زوجها وتنهي هذه العلاقة ، وبعد ذلك فهي حرة أن تبني علاقة مع من تريد لانها لم تعد على عصمة رجل . أما أن تبني علاقة مع رجل آخر وهي على عصمة زوجها فذلك ضعف في شخصيتها ووعيها والتزامها وضعف في احترامها لذاتها . على الرغم من كل ذلك فان هذا الزوج مطالب أن يواجه الموقف بأعصاب هادئة وينهي علاقته مع زوجته دون أية انعكاسات سلبية ، لان مثل هذه الزوجة لاتستحق سوى انهاء العلاقة معها ، باعتبارها أول من بادر للتعبير عن عدم رغبتها الاستمرار مع زوجها الذي اختارته ، وعدم توافر هذه الرغبة سبب كاف لانهاء العلاقة بعقلانية كاملة . وما ينطبق على الزوجة ينطبق على الزوج ، لان العلاقة بين الزوج والزوجة اذا ما اخترقت من قبل أحدهما وكان من غير الممكن معالجة هذا الاختراق ، فليس هناك حل منطقي سوى الافتراق ، لان الرضوخ لسلوك معين يمارسه الزوج أو الزوجة وهو

مناف للحياة الزوجية ، يتبعه سلوك آخر ، وهكذا الى أن يتحول الطرف الاخر من ذات الى موضوع لخدمة الذات الاخرى وبالتالي لا يمكن أن نسمي بعد ذلك العلاقة بين ذات وذات بل تصبح العلاقة بين ذات وذات حولت الى موضوع لخدمة الذات الاخرى ، وهذا ما لم يقبله مخلوق سوي ، ويؤكد المقولة المشهورة « العرض يقلل الطلب » بمعنى كلما اندفع أحد طرفي العلاقة ـ الزوج أو الزوجة ـ الى التمسك بالطرف الاخر على الرغم من سلوكه المنافي للعلاقة الزوجية سيحول هذا الاندفاع الطرف المندفع الى تابع مرفوض كذات من قبل الذات الاخرى الى أن تصبح العلاقة بين ذات وموضوع . وهذا ما يجعلنا نقترح انهاء هذه العلاقة واحتفاظ الذات بذاتها الانسانية .

ثالثا : الغيرة لا تظهر عند المرأة اكثر من الرجل ، واذا ظهرت عند المرأة فذلك يعود لوضع المرأة تاريخيا من خلال نظرة المجتمع لها .

ومنعها من أن تمارس العمل بالحرية المعطاة للرجل ، ولانها ما تزال محاصرة اجتماعيا واقتصاديا . وفي أي مجتمع استطاعت المرأة فيه أن تتحرر اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا تتساوى مع الرجل في الغيرة لان الغيرة حين تظهر عند المرأة أكثر من الرجل فذلك بسبب خوفها على مستقبلها أولا وأخير . هذا أولا ، وثانيا : ولان المرأة ما تزال متخلفة ثقافيا عن الرجل لان الابواب الثقافية التي افتتحت للرجل ما يزال بعضها مغلقا أمام المرأة ، ولان الحياة الاجتماعية خارج الاسرة ما تزال مقننة في وجه المرأة .

وما نحن مقتنعين به ونرغب التأكيد عليه هو أنه اذا توافرت الشروط نفسها للرجل والمرأة فلا بد أن تتساوى المرأة والرجل في النتيجة . والنظرة الدونية للمرأة هي من صنع الرجل وليس لها ما

يسوغها على أرض الواقع . والرجل الواعي يهمه أن يتعامل مع امرأة توازيه في القدرات ولكي يكون المجتمع متوازنا لا بد أن تكون المرأة فيه تتمتع بحقوق الرجل نفسها .

رابعا :

الغيرة لا يمكن حصرها بالضرائر ولا يمكن حصرها بالرجال ، وان كان مفهوم الغيرة قد ورد هكذا في لسان العرب فلذلك ما يسوغه لان واقع الحياة الاجتماعية العربية في مرحلة ما كان هكذا . أما الان وبعد سلسلة التغيرات التي حصلت في الواقع الاجتماعي العربي التي شملت الصعد الثقافية والاقتصادية والتحررية فلم يعد لهذا المفهوم ما يسوغه .

• العلاقة بين الملكية وتعدد الزوجات والغيرة

أقر الاسلام مبدأ تعدد الزوجات وكان ذلك مرغوبا فيه لزيادة الانجاب ولتوافر اليد العاملة وتوافر المتعة الجنسية للرجال . ولان المعارك كانت تقضي على أعداد كبيرة من الرجال . الامر الذي جعل عدد النساء يفوق عدد الرجال وهذا ما كان يشجع مبدأ تعدد الزوجات وطبيعي أن يكون من نتائج ذلك الغيرة وبخاصة بين صفوف النساء . لان الرجل قد يميل الى احدى نسائه أو يمتدحها لامر سره منها فيهيج بذلك غيرة ضرتها . وهذا الامر لم يسلم منه حتى النبي محمد (ص) .

فقد روي أنه دخل على زوجته حفصة بنت عمر في غير يومها ، فأطعمته عسلا أهدي اليها ، واحتسى عندها أكثر من عادته ، وبلغ ذلك عائشة فأخبرت ضرائرها ، واتفقوا على أن تقول له كل من دخل

عبيه : أكلت (مغافير) وتسد أنفها لرائحته الكريهة.وفعلن ذلك معه . فأقسم ألا يأكل العسل ، وحرم على نفسه أكله ، فأنزل الله تعالى الاية وفيها يعاتبه :

(يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ، تبتغي مرضاة أزواجك)[1] .

ولما ولدت مارية القبطية ابراهيم بن النبي غارت نساؤه واشتد عليهن حين رزق منها الولد[2] وفي يوم وجدته حفصة عندها ، وكان ذلك اليوم هو اليوم المخصوص لعائشة ، فأسر اليها النبي أنه لم يقربها واستكتمها الخبر ، ولكنها لم تصبر على الكتمان فأخبرت عائشة ، وتظاهرت معها على النبي ، وأخبره الله بما فعلت حفصة ، فساءه ذلك وأقسم ألا يقرب نساءه شهرا .

كذلك ظهرت غيرة نساء النبي حين عقد على أسماء بنت النعمان ابن الحارث الكندية ، وكانت من أجمل النساء ولما حملت الى الرسول خشي نساؤه أن تغلبهن عليه بحسنها وجمالها فقلن لها : اذا دنا منك فقولي له : أعوذ بالله منك ، فظنت أن ذلك قولا يسره . ففعلت فقال له : لقد عذت بمعاذ . وردها الى قومها[3] .

وقد يصبح الرجل فريسة الغيرة بين زوجتيه ، فيكون في ذلك

---

* المغافير : نوع ما الصمغ يشبه العسل يفرزه نبات العرفط وله رائحة كريهة . (لسان العرب)

١ ــ سورة التحريم الاية ١ .

٢ ــ الطبري ٣/٩٥

٣ ــ الاصابة في تميز الصحابة ٧/٤٩٤

مثل الاعرابي الذي قيل له : من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، وها هو يصف ما جرى وما حل به :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي
بما يشقى به زوج اثنتين
فقلت أصير بينهما خروفا
أنعم بين أكرم نعجتين
فصرت كنعجة تضحي وتمسي
تداول بين أخبث ذئبتين
لهذي ليلة ولتلك أخرى
عتاب دائم في الليلتين
فان أحببت أن تبقى كريما
من الخيرات مملوء اليدين
فعش عزبا فان لم تستطعه
فضربا في عراض الجحفلين

ومثل هذا الرجل رجل آخر روى لنا قصته أبو علي القالي في أماليه فقد حضر هذا الرجل مجلس الحجاج يوما فسمعه يقول لاصحابه : لا تجتمع لرجل لذة حتى تجتمع أربع حرائر في منزله يتزوجهن ، فلما سمع الرجل هذا القول عمد الى كل ما يملك فباعه وتزوج أربع نسوة فلم توافقه واحدة منهن فأقبل على الحجاج فقال :

سمعت ـ سمعتك أصلحك الله ـ تقول : لا تجتمع لرجل لذة حتى يتزوج أربع حرائر ، فعمدت الى قليلي وكثيري فبعته وتزوجت أربعا فلم توافقني واحدة منهن : أما واحدة منهن فلا تعرف الله ولا تصلي ولا تصوم ، والثانية حمقاء لا تتمالك ، والثالثة مذكرة متبرجة،

والرابعة ورهاء (أي خرقاء) لا تعرف ضرها من نفعها ، وقــد قلت فيهن شعرا ، قال : هات ما قلت ؟ فقال :

تزوجت أبغي قــرة العــين أربعا
فياليتنــي والله لــم أتزوج
ويا ليتنــي أعمــى أصم ولم أكن
تزوجت ، بل يا ليتني كنت مخدج

ومن لطيف ما يستشهد به في هذا الصدد حكاية رواها الاصمعي للرشيد وهو ينادمه عن رجل تزوج أربع نساء وطلق خمسا ، وقد دبت الغيرة بين زوجاته الضرائر فكن في شر دائم ، وفي يوم دخل عليهــن فوجدهن متلاحيات متنازعات ، وقد نفذ صبره عن احتمالهن فقال : الى متى هذا التنازع ؟ ما أخال هذا الامر الا من قبلك ــ يقول لامرأة منهن ــ اذهبي فأنت طالق . فقالت له زوجته الثانية : عجلت عليهــا بالفراق ، فقال لها : وأنت طالق أيضا فقالت له الثالثة : ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك الا بالطلاق ؟ فقال لها : وأنت طالق أيضا ، فقالت الرابعة : قبح الله صنعك فقال لها : وأنت طالق أيضا . وكان ذلــك بمسمع جارة له ، فأشرفت عليه وقد سمعت كلامه ، فقالت : أبيت الا طلاق نسائك في ساعة واحدة ؟ فقال لها : وأنت طالق أيضا ، أيتها المؤنبة المتكلفة طالق ان أجاز زوجك . فأجابه زوجها من داخل بيته هيه ، قد أجزت قد أجزت[1] .

كذلك يشعر الرجل بالغيرة اذا مالت زوجته الى غيره أو خشي أن تميل اذا غاب أو مات . ويربط علماء الاجتماع بين الغيرة وبين الملكية

---

١ ــ المخدج هو الذي نقص عضو من اعضائه .

وعندهم أن بذور الغيرة قد تتصل بشعور الانسان بملكيته للمرأة وأن الاعتداء عليها هو اعتداء على الملكية • وتتجلى الملكية في قانون (مانو) الهندي ، فقد نصت المادة ٤٢ من الفصل التاسع ، على أنه ليس لاحد أن يلقي بذوره في أرض غيره •

وفي جميع الشرائع والقوانين القديمة يعاقب المعتدي عقابا صارما وفي بعض الحالات يقتل ، وعند بعض القبائل الافريقية يعتبر سارقا ويعاقب بقطع يده أو بقطع يديه •

ومن فكرة الملكية نشأت عند بعض الشعوب تقاليد تقضي بأن يدفن مع الرجل أشياؤه التي كان يملكها في حياته ومنها زوجاته ، لكي لا يتمكن أحد من تملكها [1] والى عهد قريب كانت المرأة في الهند تحرق مع جثة زوجها وعند بعض القبائل الافريقية تدفن نساء رئيس القبيلة معه وهن أحياء بعد كسر أرجلهن ، أو يبنى عليهن بيت الى جانب القبر ويحكم سده فيمتن جوعا واختناقا • وفي الصين كانت زوجة الامبراطور تقتل وتدفن معه • وظلت هذه العادة جارية حتى القرن الخامس عشر ، فلم تعد تدفن معه حية بل كانت تجبر على الانتحار • أما عند العرب فالغيرة كانت وما تزال تلعب دورا أساسيا في حياة الاسرة عند الزوج والزوجة على حد سواء لاسباب عديدة أهمها الحرص الشديد على سلامة النسب • فالعربي كان يراقب امرأته ، واذا وجد منها ما يريب فارقها •

فقد روي أن الفاكه بن المغيرة المخزومي تزوج هندا بنت عتبة بن ربيعة ، وانه في يوم خرج من البيت وترك هندا نائمة ، فجاء بعض من كان يزور البيت ، فلما وجدها نائمة ولى عنها فاستقبله الفاكه وهو

---

١ ــ العقد الفريد ٦/١١٨ ــ ١١٩ •

خارج من البيت ، فدخل على هند ونبهها وسألها عن الرجل الذي خرج من عندها ، فقالت والله ما انتبهت حتى نبهتني وما رأيت أحدا قط . فقال لها : الحقي بأهلك . ولما خاض الناس في أمرها احتكم عتبة والدها والمغيرة والد زوجها الى الكاهن ، وأخذا معهما نسوة ومعهم هند ، وطلبوا الى الكاهن أن ينظر في أمر النسوة ، فجعل الكاهن يمسح رأس كل واحدة منهن ويقول : قومي لشأنك ، حتى اذا بلغ هندا فمسح رأسها وقال لها : قولي لا رسحاء (أي غير قبيحة) ولا زانية ، وستلدين ملكا يسمى معاوية . فلما خرجت أخذ الفاكه بيدها فنزعت يدها من يده وقالت : لاحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان بن حرب فولدت له معاوية [1] .

ولما لزمت المرأة الحجاب وامتنع عليها أن تكشف عن وجهها ، كان أشد ما يثير غيرة الرجل أن ينظر الى وجهها غريب عنها ، ويروي الخطيب البغدادي حكاية امرأة تقدمت الى مجلس القاضي موسى بن اسحاق بمدينة الري سنة ٢٨٦ هـ فادعى وكيلها بأن لموكلته على زوجها خمسمائة دينار (مهرها) فأنكر الزوج . فقال القاضي لوكيل الزوجة : شهودك قال : أحضرتهم ، فطلب بعض الشهود أن ينظر الى المرأة ليشير اليها في شهادته . فقام الشاهد وقال للمرأة : قومي ، فقال الزوج ، تفعلون ماذا ؟ قال الوكيل : ينظرون الى امرأتك وهي مسفرة لتصح عندهم معرفتها . فقال الزوج : واني أشهد القاضي ان لها علي هذا المهر الذي تدعيه ولا تسفر عن وجهها ، فردت المرأة وأخبرت بما كان من زوجها فقالت : فاني أشهد القاضي أني وهبت له هذا المهر وأبرأت ذمته في الدنيا والاخرة [2] .

---

١ ـ العقد الفريد م ٦/ص ٨٦ ـ ٨٧
٢ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣ ـ ٥٣

فقال القاضي : يُكتب هذا الكلام في مكارم الاخلاق .

والغيرة ظاهرة تتصل بالقيم المعنوية كالشهامة والاباء والعفة والحياء ، ولذلك تضعف في الجماعات التي يشغلها البحث عن المادة ، اما لحاجة أو ترف ، فالجماعات التي أترفتها المادة فلا ترى الحياة ولا تشعر بمتعتها ولذاتها الا من خلال المادة . لذلك تتفاوت معاير الأخلاق في البيئات الاجتماعية ويتفاوت معها الشعور بالغيرة .

هكذا وجدنا كم هي الغيرة مؤثرة على الحياة الزوجية ، وكم هو الالم النفسي الذي تسببه الغيرة . لكن الذي وجدناه أيضا ان الغيرة لا تظهر عند النساء أكثر ما تظهر عند الرجال — كما جاء في لسان العرب — بل وجدنا أن الغيرة موجودة عند النساء والرجال على حد سواء . والسؤال الذي يطرح نفسه ، ما هي العلاقة بين الغيرةوالملكية؟ ونجيب عن هذا السؤال بالقول : ليس الرجل وحده الذي يعتبر أن زوجته ملكا له ويجب ألا تتصرف أي تصرف الا وفق رغباته ، بل المرأة أيضا تعتبر الرجل ملكا لها ويجب ألا يتصرف أي تصرف يؤذي مشاعرها وعواطفها ، أو أي تصرف لا ترضى عنه لكن الغيرة تختلف عن الملكية ، ويرى فريق من علماء الاجتماع ان الغيرة لا تتصل بفكرة الملكية ، وانما تتصل بفكرة الحيازة وهي السيطرة على الشيء والاستمتاع به دون تملكه ، وهذه السيطرة التي ينال منها الحائز على الاستمتاع بالشيء هي التي تولد عنده الغيرة ، فهي بذلك تصدر عن الحب الجنسي النابع من الانانية فكل اعتداء على الانثى هو خدش لهذه الانانية واذلال لها .

اذن العلاقة بين اللذة الجنسية والغيرة أقوى من العلاقة بين الملكية والغيرة ، وما دام الامر كذلك وهو أقرب الى الموضوعية ، فان الغيرة

قد تحصل عند رجل يغار على زوجة ليست زوجته أو فتاة ليست خطيبته • وسبب هذه الغيرة فقدان اللذة التي كانت تؤمنها هذه الزوجة وتلك الفتاة وهناك أمثلة كثيرة نعرفها في الواقع الحياتي المعاش •

ان فتاة ما لها علاقة مع شاب معين تغار عليه حين تكتشف أن له علاقة مع غيرها بنفس القدر الذي تغار فيه زوجة على زوجها للاسباب نفسها ، وما ينطبق على هذه الفتاة ينطبق على ذلك الشاب •

ونحن مع الرأي الذي يقول : ان العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي من أهم العلاقات واقواها ، وكلما كانت هذه العلاقة موفقة بين الرجل والمرأة كلما كانت حياتهما اكثر هدوءا واستقرارا •

● العلاقة بين الغيرة والوعي

من المهم تحقق اللذة الجنسية بين الرجل والمرأة وهذا شرط ضروري لاستمرارية الحياة الزوجية واستقرارها • لكن من المهم أيضا توافر الوعي الذي يحكم هذه العلاقة وينظمها ويمنع اختراقها من الخارج وهناك أمثلة متباينة ومتناقضة بين الغيرة والوعي وبين الغيرة وفقدان الوعي الكافي وفيما يلي نورد مثالين ندلل بهما على ما نقول :

المثال الاول :

سيدة التقيت بها في احدى المحاكم الشرعية • سيدة من بيئة اجتماعية محافظة في العقد الثالث من عمرها لها خمسة أطفال • ادعت أن زوجها طلقها بسبب علاقته مع احدى بائعات الهوى ، ومما قالته أنها كانت سعيدة في حياتها مع زوجها الى أن تعرف زوجها على فتاة

لا يهمها في الرجل الا استغلاله ماديا ، واستطاعت هذه الفتاة أن تبعد زوجها عنها الامر الذي أدى بهذا الزوج أن يطلق زوجته • وحاولت أن تدلل على صحة ما قالته فأعطتني صورة لهذه الفتاة مع زوجها ، وأعطتني عنوان عمل هذه الفتاة •

ولكي تكون الصورة أكثر وضوحا ذهبت لمقابلة هذه الفتاة ، وقابلتها فعلا وحين سألتها عن علاقتها بزوج هذه المرأة تنكرت معرفته وحين أكدت لها أن في حوزتي صورة لها مع ذلك الزوج لم تقل عن تلك الزوجة المطلقة سوى كلمة واحدة (حقيرة) •

تركت هذه الفتاة واستطعت أن ألتقي بالزوج ، وحين سألته عن الاسباب التي أدت به لطلاق زوجته قال : غيرتها قاتلة ووعيها محدود • حاولت أن أخفف من هذه الغيرة لم أنجح وحين فشلت لم أعد أطيق الحياة معها ، لكن دون أن أقيم أية علاقة مع أي فتاة لكنني لم أسلم من غيرتها القاتلة ووعيها المتدني • تدخل الناس في حياتنا واكتشفت ما لم يكن متوقعا طلبت منها أن تعمل ابريقا من الشاي ففعلت ولكن يا ليتها لم تفعل ــ واكتشفت أن الشاي الذي أشربه ليس طبيعيا ، ولعدم ثقتي فيها كنت أتوقع منها كل شيء • أخذت ابريق الشاي وذهبت الى المخبر وظهر بنتيجة التحليل أن الشاي يحتوي على نسبة كبيرة من (البول) فطلبت من صاحب المخبر أن يزودني بتقرير عما يحتويه الشاي ، ولما فاجأتها بفعلتها وهددتها بالطلاق دافعت عن نفسها بالقول : انني أقدمت على هذا العمل لانني أحبك وأحب أن أبعدك عن تلك الفتاة التي دمرت حياتنا • والذي دفعني الى هذا الفعل امرأة قالت لي ان فعلت ذلك سيركع زوجك أمام قدميك •

هذا ما فعلته هذه الزوجة الغبية وهكذا كانت النتيجة ، هي

تصرفت برعونة وغباء ، وهو حاول أن يثأر لكرامته لكن بعد التدقيق بسلوك هذا الرجل تبين أن كرامته لا تهمه وان وطنه لا يهمه وان علاقته مع الناس لا تهمه ، وكل ما يهمه هو تأمين المال ، وبكل الوسائل اللامشروعة ، وتبذير هذا المال أيضا بالطرق اللامشروعة أيضا .

المال الذي يجمعه هذا الرجل من خلال عمله بالتهريب وبتهريب المخدرات ، وضبط بالجرم المشهود وعوقب . والفتاة التي يقيم معها علاقة من نوعيته ، تبيعه جسدها بالمال وهو مستعد أن يبيع كل شيء ويتخلى عن كل شيء مقابل حصوله على المال .

وما قالته الزوجة عن زوجها لم يكن دقيقا فحسب بل ان ما استطعت التأكد منه عن حياة هذا الزوج وسلوكه يفوق كثيرا عما قالته زوجته عنه ومع كل هذا ولكي يسوغ سلوكه وجه اتهامات ظالمة لزوجته اتهمها بالسرقة ، واتهمها باهمال بيتها وأطفالها وجه كل هذه الاتهامات ليخلق مسوغات لا وجود لها كي يطلق زوجته ويحقق رغبة تلك الفتاة المنحرفة التي حولت جسدها الى سلعة تبيعها في سوق العرض والطلب ، ولكي يحقق نزوة حيوانية تتحكم في كل تصرفاته .

صحيح ان ما فعلته الزوجة كان من منطلق محافظتها على زوجها وبيتها وأطفالها لكن الاصح ان ما فعلته يعبر تماما عن وعيها المتدني ومهما كانت النية حسنة فان مثل هذا الفعل لا يقبله عقل ولا منطق ، والزوجة التي تلجأ الى مثل هذه الشعوذات لا تصلح أن تكون زوجة وأم لاطفال وطلاقها أقصر الطرق وأيسرها .

المثال الثاني :

سيدة مضى على زواجها أكثر من ثلاثين سنة سبب لها زوجها

خلال هذه المدة ألما نفسيا جعلها تعيش الطلاق النفسي بأقسى أنواعه ومع ذلك لم تستسلم وكان قرارها حيال أية أزمة يسببها زوجها مواجهة الموقف بعقلانية وأعصاب هادئة على طريق استمرار حياتها الزوجية .

زوج هذه السيدة يتمتع بمواصفات جمالية تجذب النساء اليه وهو يمتلك الاستعدادات النفسية الكاملة لاقامة كل أنواع العلاقات اللامشروعة لا فرق عنده بين فتاة ومطلقة بين متزوجة وارملة لا يهمه التمييز بين الجمال والبشاعة كل ما يهمه معرفة أكبر نسبة من النساء .

عاش طفولته فقيرا ومحروما من كل شيء الا من الشقاء هاجر في مرحلة شبابه خارج بلده ومارس كل انواع الاعمال الشاقة ومع كل هذا كان يجد الفرصة للاختلاط مع الناس والنساء بخاصة . وكانت الورقة الرابحة بيده التي تجذب النساء اليه جماله عاش الارتياح النفسي والاستمتاع الجنسي خارج بيته والطلاق النفسي والحيرة والقلق داخل بيته وانعكس كل ذلك على علاقته بزوجته وأطفاله . عاد الى بلده بعد هجرة لم تكن موفقة واستطاع أن يؤمن عملا في احدى دوائر الدولة كان كل ذلك بفعل تصرفات زوجته العقلانية وصبرها . فعلت كل ذلك على أمل أن يعود زوجها الى رشده وبيته وأطفاله .

استقر وضع هذه الاسرة فترة من الزمن وكادت أن تقترب علاقته مع زوجته من الوضع الطبيعي الى أن تغير العمل الذي كان مسندا له وكان عمله الجديد هذه المرة بمثابة القنبلة التي فجرت كل شيء . عمله الجديد هيأ له كل الشروط والمسوغات لاقامة علاقات جديدة مع بائعات الهوى ، كان يمضي كل وقته خارج البيت بحجة العمل واليوم الذي يعود فيه الى البيت يعود في ساعة متأخرة من الليل حاملا معه كل الادلة التي تدينه .

لم يكن أمام زوجته من خيار الا القبول بالامر الواقع . أولادها أصبحوا شبابا فكرت أكثر من مرة بطلب الطلاق وفي كل مرة كانت تجد نفسها محاصرة ماديا واجتماعيا وأخلاقيا . ليست منتجة ولا متعلمة وغير قادرة على مزاولة اي عمل يحتاج جهدا عاديا وغير قادرة على ترك أولادها ولم تعد تلك المرأة التي تجذب الرجل اذا ما فكرت أن تتزوج ثانية وهذا ما ترفضه على الرغم من كل ما عانته كان للهاتف دورا اضافيا في زيادة ألمها النفسي كانت تستقبل يوميا مخابرات هاتفية مزعجة مرة تتصل بها سيدة لتخبرها عن سلوك زوجها وعلاقاته ومرة يتصل بها (فاعل خير) ليقول لها : زوجك الان مع عشيقته (س) وكان من أهم هذه المكالمات التلفونية التالية :

اتصلت فتاة لتقول لهذه الزوجة المظلومة : زوجك غرر بـي ووعدني أن يتزوجني وأنا انسانة فقيرة لا عمل لي ولا معيل صور لي الحياة التي أحلم بها . صدقته وأعطيته كل شيء وأنا الان في شهري الرابع والفضيحة تقترب مني وليس أمامي الا الانتحار لكن سأخبر الناس بما فعله زوجك قبل اقدامي على الانتحار .

صدقت الزوجة المظلومة كل ما قالته تلك المرأة المجهولة ورغم ذلك كان ردها على تلك المرأة المجهولة :

أنت فتاة في ريعان شبابك وأنا مستعدة أن أقدم لك المساعدة أنا لم أعد أغار على زوجي لان سني لم يعد يسمح بذلك ، لذلك بامكانك أن تأتي الى عندي وسأعلن زواجكما وأهيىء لك كل وسائل الراحة وأعتبرك واحدة من بناتي وسأتولى تربية طفلك وأنا أجيد تربية الاطفال .

اعتذرت تلك الفتاة المجهولة وقالت :

ـ يا سيدتي أنا لا أعرف زوجك ولم أره في حياتي والذي دفعني الى هذا الفعل السخيف رجل سخيف اسمه (ع) وهو يعرف زوجك ويغار من تفوقه في عمله وأعاهدك أنني لن أسلك مثل هذا السلوك في حياتـــي •

أخبرت زوجها بمضون المكالمة التي جرت بينها وبين تلك الفتاة المجهولة وكان من نتيجة ذلك اعتذار زوجها عما سببه لها من شقـاء وألم نفسي وعاهدها أن يكون الزوج المثالي • لكن أي اعتذار هـذا وأي عهد • اعتذر لها وعاهدها أن يكون الزوج المثالي بعد أن أصبح في العقد السادس من عمره • أنا أصدقه وزوجته تصدقه بكل تأكيـد لكنه يكذب على ذاته • أصدقه لانه لم يعد يجذب النساء وتصدقـه زوجته للسبب ذاته أيضا ، ويكذب على ذاته للسبب ذاته أيضا •

• العلاقة بين الغيرة والخيانة الزوجية

الغيرة ليست ظاهرة ضعف يشعر بها الضعيف نحو القوي والادنى نحو الاعلى ، كما هي معرفة في « لسان العرب » : الغيرة معاناة يعاني منها القوي مثل ما يعاني الضعيف ، يعاني منها الرجل مثل ما تعانـي منها المرأة •

الغيرة نوع من انواع التملك تظهر حـين يشعر الرجل أو يحس أو يتأكد أن زوجته التي اختارها لتكون شريكة حياته ، تؤمن له الهدوء والاستقرار والسعادة والاستمتاع الجنسي ، تظهر اعجابها بغيرة مـن الرجال . أو لها علاقة مع أحدهم أو يمكن أن يكون لها علاقة فـــي

المستقبل . وتظهر الغيرة عند الرجل أيضا اذا وجد اهتمام النـــاس بزوجته وحاولت هـــذه الزوجـــة أن توظـــف اهتمام النـــاس بهـــا بعلاقتها مع زوجها ، اذا كان هذا الرجل ضعيفا ووعيه محدودا اعتبرنا غيرته ظاهرة ضعف سببها خوفه أن يضطر لانهاء علاقته مـــع زوجته اما بضغط زوجته عليه ، أو لانه لم يعد بمقدوره أن يستمر بعلاقته مع زوجته ، وبالتالي يفتقد الهدوء والاستقرار والاستمتاع الجنسي ويصبح مضطرا للبحث من جديد عن تأمين ما افتقده .

اما اذا كان هذا الزوج ذا شخصية متماسكة ويتمتع بمقدرةعقلية تؤهله اتخاذ القرار الصائب فان اهتمام الناس بزوجته يريحه ، اذا ما قابل هذا الاهتمام وعي الزوجة وحسن سلوكها واحترامها لذاتها تجاه زوجها والمجتمع ، لان المرأة الواعية التي اختارت زوجها بقناعتها يجب أن ينعكس اهتمام الناس بها على علاقتها مع زوجها باتجاه تعميـــق الاستقرار والهدوء والسعادة الدائمة .

والغيرة نوع من أنواع التملك تظهر عند المرأة حين تشعـــر أو تحس أو تتأكد أن زوجها الذي اختارته شريكا لحياتها ، ليؤمن لهـــا الهدوء والاستقرار والاستمتاع الجنسي أظهر اعجابه بغيرها من النساء او له علاقة مع غيرها ويمكن أن يكون له علاقة .

أسباب الغيرة عند المرأة خوفها أن تنجح امرأة أخرى وتنتزع منها ملكيتها التي كانت تحقق لها السعادة والهدوء والاستقرار .

وسواء أكانت المرأة قوية أم ضعيفة . واعية أم متخلفـــة ، فان خوفها له ما يسوغه خاصة في المجتمعات المحافظة له ما يسوغـــه لان المجتمع يمتلك الاحكام الجاهزة التي يطلقها على اية امرأة دون تمييز ، ومن هذه الاحكام : « لو كانت امرأة صالحة لما طلقها زوجها أو تزوج امرأة ثانية » وكلمة صالحة هنا تشمل وعيها وأخلاقها وسلوكها .. الخ

ليس هذا فحسب بل ان هذه الاحكام الجاهزة ستلاحق المرأة في المجتمعات المتخلفة ، في عملها ان كانت عاملة ، وفي بيت أهلها ان كانت دون عمل وفي بيتها الخاص بها ان كانت تمارس مهنة،هذا اذا استطاعت أن تستقل في بيت خاص بها .

كذلك فان الاحكام الجاهزة التي تعاني منها المرأة في المجتمعات المحافظة لا بد وأن تؤثر فيها ، اذا ما قررت أن تتزوج مرة ثانية ، لانها مضطرة بفعل الاحكام الجاهزة أن تقبل بما كانت ترفضه قبل زواجها الاول ـ هذا اذا كانت تمتلك حرية الاختيار ، وبالتالي فهي مضطرة أيضا أن تتكيف مع الظروف الجديدة ، ولكن ذلك لا يعني أنها مقتنعة بما هي فيه ، وهي مضطرة كذلك أن تتحمل عنجهية الزوج الثاني اضافة لحرمانها من أطفالها ، ان كان لها أطفال .

ان وجود الاحكام الجاهزة ـ وهي موجودة فعلا ، لا يعني رضوخ المرأة لها كونها تفتقر للموضوعية ، ومقاومة هذه الاحكام مسؤولية المرأة والرجل والمجتمع . مسؤولية المرأة باثبات جدارتها في الحياة ، ومسؤولية الرجل أن يكون دقيقا في التميز بين هذه المرأة وتلك ، ولان المرأة هي أمه وأخته وزوجته ، ولان الحياة لا تستمر دونها ، ولان شروط الحياة الموضوعية لا تكتمل الا بتساوي المرأة والرجل في الحقوق والواجبات .

ومسؤولية المجتمع ـ وأخص طليعته الواعية ـ لان المرأة نصف المجتمع واضطهاد هذا النصف ، واطلاق الاحكام الجائرة عليه تعيق من تقدمه وتطوره ، ليس هذا فحسب بل تبعد المجتمع عن مهماته الملحة ، تبعده عن التفكير بالاسباب التي تمنع تطوره ، وتشغله عن مقاومة عدوه الطبقي الذي يستغله . التمايز بين المرأة والرجل ، سببه استغلال

الانسان للانسان ، وانهاء هذا التمايز مرهون بالقضاء على الاستغلال والقضاء على الاستغلال مرهون بتوافر الوعي ، وتوافر الوعي وانتشاره مسؤولية الطليعة الواعية في المجتمع .

الغيرة أسواء ظهرت عند الرجل أو المرأة ناتجة عن حاجة ضرورية تحقق الاستمتاع باللذة الجنسية اذا ما تأمنت هذه الحاجة ، وفي حال تأميها تتحول الى نوع من الملكية ، لكنها ليست كمن يسعى لامتلاك أرض أو سيارة أو بيت الى ما هنالك من أشكال الملكية .

الرجل يمكن أن يتخلى عن كل ما يملك في سبيل اقترانه بامرأة يعتقد أنها تحقق له السعادة التي ينشدها ، والمرأة مستعدة أيضا أن تتخلى عن ملكيتها مقابل تأمين سعادتها مع رجل تتوافر فيه الصفات التي تبحث عنها .

الرجل الذي يبحث عن المرأة التي تحقق له السعادة والمرأة التي تبحث عن الرجل لذي يحقق لها السعادة ، من الخطأ وصفهما بالانانية وحب الذات وحب التملك لانهما لا يستغلان أحدا على أن يكون اختيار بعضهما بعضا اختيارا حرا وواعيا ، ومن دون أن يؤثر في هذا الاختيار أي عامل خارجي .

وعلى الرغم من ذلك لا نبتعد عن الموضوعية ان قلنا ، ان في هذا الاختيار نوع من أنواع التملك من منطلق ، المرأة التي اختارت زوجها لن توافق أن يكون لزوجها علاقة مع امرأة أخرى ، والزوج الذي اختار زوجته لن يوافق أن يكون لزوجته علاقة مع رجل آخر ، لان الطبيعة الانسانية لا تسمح بذلك.وان وجد من يسمح بذلك وهم كثر، فهؤلاء يقتربون من قطعان الحيوانات أكثر من اقترابهم من التجمعات الانسانية .

من هذا المنطلق نفهم العلاقة بين الغيرة والتملك ، نفهمها على أنها ميزة انسانية تعني احترام الزوج لذاته ولانسانيته، واحترام الزوجة لذاتها وانسانيتها ، ومن هذا المنطلق أيضا نفهم نظام الزواج الاحادي الذي يؤمن للزوج وللزوجة انسانيتهما واحترامهما لذاتهما ، هذا اذا فهم هذا النظام على أنه اختيار الزوجين بعضهما بعضا يجب أن يكون اختيارا حرا وواعيا وعلى أرضية.هذا النظام ــ نظام الزواج الاحادي ــ نناقش العلاقة بين الغيرة والخيانة الزوجية نناقشها من منطلقين أساسيين مختلفين :

الاول : اذا تدخل طرف خارجي ونفذه بالقوة وهـذا الطـرف الخارجي ، اما أن يكون أهل الزوج ، أو أهل الزوجة ، أو ما يسمى بالظروف . في حال تدخل طرف خارجي استطاع مصادرة حرية الزوج في اختيار زوجته ، أو مصادرة حرية الزوجة في اختيار زوجها ، أو مصادرة حرية الزوج والزوجة معا ، فان مصادرة هذه الحرية تعني أول ما تعنيه تهيئة الشروط الموضوعية لعشعشة الغـيرة في نفس الزوج والزوجة على حد سواء ، لان الزوج الذي فرضت عليه زوجته لا بد وأن يعبر بسلوك معين عن عدم ارتياحه للطريقة التي تم فيها زواجه وسواء أعبر ذلك أم لم يعبر ، فان زوجته تدرك أنه لو لم تصادر حرية زوجها لاختار غيرها بكل تأكيد .

ان ادراك الزوجة لما هو واقع بالقوة سيجعل الزوجة في حالـة استنفار دائمة ، تراقب أي سلوك يسلكه الزوج ، وهي على قناعة تامة أن وزجها يمتلك الاستعداد النفسي لاقامة علاقـة مـع أي امـرأة يرتاح لها .

قناعة الزوجة هذه تربك الزوج وتبعده عن الاستقرار . وتدفعه باتجاه اقامة علاقات لا مشروعة . وقناعة الزوجة أيضا تجعل من حياتها حياة قلقة لا تعرف الاستقرار .

ان ما ينطبق على الزوج ينطبق على الزوجة . ويكون العامل الاساسي الذي يحكم علاقاتهما هو عامل الانفعال . الذي يولد قرارات الفعل ورد الفعل ، وتكون النتيجة الاكثر احتمالا هي الخيانة الزوجية أو الطلاق الشرعي . بعد أن يكون الطلاق النفسي قد أخذ أبعـــاده كاملـــة .

الثاني : اذا لم يكن للطرف الخارجي تأثير في حرية اختيار الزوج لزوجته أو اختيار الزوجة لزوجها .

الحياة الزوجية هنا تقترب من امتلاك الشروط الموضوعية التـــي توفر لهذه الحياة الهدوء والاستقرار ، وتبعدها عن الغيرة وعن الخيانة الزوجية .

تبعدها عن الغـــيرة لان مســـوغات الغـــيرة ليست موجـــودة وتبعدها عن الخيانة الزوجية لعدم توافر أسبابها ، لكن توافر الشروط الموضوعية لا يلغي رغبة الذات بتملك الذات الاخرى وان كان وعي الطرفين يخفف هذه الرغبة ويقوي التزامهما لكن استمرارية حياتهما مع بعضهما وقناعتهما ببعضهما لا تلغي احتمال ظهور الغيرة وأخـــذ أبعادها التي قد تؤدي الى الخيانة الزوجية . لكن هذا الاحتمال ضعيف اذا ما قورن بحياة زوجية فرضها طرف خارجي .

نخلص للقول : ان المفهوم السائد للخيانة الزوجية يفتقر للموضوعية لان الزوج الذي له علاقة جنسية مع غير زوجته ، يحقق رغبة ذاتية في الاستمتاع باللذة الجنسية . واذا سميناها خيانة فهي خيانة للذات قبل

أن تكون خيانة لذات الاخر • لان هذا الزوج لو كان واعيا ويحترم ذاته لرفض من البداية أن تفرض عليه زوجته من قبل طرف خارجي • ولو كانت هذه الزوجة واعية وتحترم ذاتها لرفضت منذ البداية أن تكون زوجة لرجل هو يرفضها •

من هذا المنطلق نفهم الخيانة عن أنها أولا وأخيرا خيانة للذات ، لان الزوج الذي لم يكن مقتنعا بزوجته منذ البداية ، والزوجة التي لم تكن مقتنعة بزوجها منذ البداية أيضا ، فالذي يحترم ذاته فانسانيته تطالبه أن يحترمها ، واحترامه لانسانيته يعني أن ينهي تلك العلاقة التي فرضت عليه ، لان انهاء هذه العلاقة أخلاقيا وانسانيا واجتماعيا ، أفضل بألف مرة من استمراريتها مع الخيانة •

هذا في حال مصادرة حرية اختيار الزوج لزوجته ، واختيار الزوجة لزوجها • أما في حال ممارسة اختيار الزوج لزوجته ، واختيار الزوجة لزوجها . فاننا نعتقد أنه لا مسوغ للخيانة الزوجية • واذا افترضنا أن أحد الطرفين يمتلك الاستعداد النفسي لممارسة الخيانة أو مارس الخيانة فعلا ، فهو مطالب أن يحترم ذاته واحترامه لذاته يعني ، اما أن ينهي اية علاقة مع غير زوجته ، واما أن ينهي علاقته مع زوجته • واذا كانت الزوجة هي التي تمارس الخيانة فاحترام الذات يفرض عليها أن تواجه زوجها بكل الصراحة والصدق ، وتوحي له بطريقة ما أنها لم تعد مستعدة لمواصلة الحياة معه . وانفصالهما عن بعضهما بعضا أفضل الحلول وأنجعها •

الفصل الرابع

دور العلاقة الجنسية في الطلاق النفسي

- **أولا ـ الصفات الخلقية**

  ١ ـ التوافق في السن
  ٢ ـ مفهوم الجمال
  ٣ ـ التوافق في الجمال
  ٤ ـ التوافق في ممارسة الجنس
  - مرحلة ما قبل الزواج
  - مرحلة ما بعد الزواج

- **ثانيا ـ الضعف الجنسي والدور الذي يلعبه في الطلاق النفسي**

- **العلاقة الجنسية الدائمة بين المرأة والرجل**

  ١ ـ شهر العسل
  ٢ ـ أخوة اللحم
  ٣ ـ الممنوع مرغوب
  ٤ ـ ماهية الضعف الجنسي

- **ثالثا ـ الصفات الخلقية**

دور العلاقة الجنسية في الطلاق النفسي

سواء تم الزواج بين رجل وامرأة برغبة خارجية فرضت على الزوج أو الزوجة ، أو على الاثنين معا أو تم برغبة الزوج أو الزوجة من دون أي ضغط خارجي ، فذلك لا يعني أن الغاية من الزواج قد تحققت ؛ فما تحقق هو توافر الشروط اللازمة لصحة العقد . والعقد بذاته لا يحقق غاية الزواج ، وانما يقيم بين الزوجين رابطة قانونية . أما غاية الزواج فتتحقق بقيام رابطة يمكن أن نسميها روحية تولد الجذب بين الجنسين لاستمرار الحياة الزوجية والانجاب ، وتولد اللذة الجنسية للطرفين أيضا . وهذا لن يتحقق الا بتوافر صفات خَلقية وأخرى خُلقية في الزوجين . اكتفينا بالصفات الخَلقية والخُلقية هنا لاننا سننطلق منهما في دراسة دور العلاقة الجنسية في الطلاق النفسي .

● أولا ــ الصفات الخلقية

شروط كثيرة لا بد من توافرها في الشاب والفتاة على حد سواء فيما يتعلق بالصفات الخَلقية أهمها :

١ ـ التوافق في السن

يرغب الرجل في المرأة الشابة الفتية ، وترغب المرأة في الشاب القوي ، لتقوم الغريزة بأكمل وظائفها .

وفي أخبار العرب القدامى شواهد كثيرة على ايثار المرأة الشاب ذا البأس والقوة ، على الرجل الكبير بالسن مهما علا مقامه بين قومه .

فقد روى ابن قتيبة أن الحارث بن سليل الاسدي خطب الى علقمة بن حصفة ابنة الزباء ، وكان الحارث شيخا والزباء شابة فتية . فقال علقمة لزوجته : ان الحارث بن سليل ، سيد قومه حسبا ومنصبا وبيتا ، وقد خطب الينا الزباء ، فلا ينصرفن الا بحاجته ، فأريدي[١] ابنتك على نفسها فدخلت الام على ابنتها وقالت لها : أي الرجال أحب ، الكهل الحجاج[٢] الواصل المناح ، أم الفتى الوضاح ، الذهول[٣] الطماح[٤] .

فقالت يا أماه :

ان الفتاة تحب الفتى كحب الرعاء[٥] أنيق الكلا ، فقالت : أيا بنية ان الشباب شديد الحجاب ، كثير العتاب . قالت : يا أماه ، أخشى من الشيخ أن يدنس ثيابي ويبلي شبابي ، ويشمت أترابي . فلم تزل أمها حتى غلبتها على رأيها . فتزوج الحارث بها ، ثم رحل الى قومه ، فانه لجالس ذات يوم بفناء مظلته وهي الى جانبه ، اذ أقبل شباب من

---

١ ـ اراده على الامر حمله عليه ، اي احملي ابنتك على قبوله زوجا
٢ ـ الحجاج السيد : السيد الكريم
٣ ـ الذهول : الرجل يسلو امراته وينساها
٤ ـ الطماح : الرجل الذي يتحول نظره عن امراته الى غيرها من النساء .
٥ ـ الرعاء : الماشية الراعية

بني أسد يعتلجون[1] فتنفست ، ثم بكت ، فقال لها : مايبكيك؟قالت: مالي وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ؟[2] فقال : أما وأبيك . لرب غارة شهدتها ، وسبية أردتها وخمرة شربتها فالحقي بأهلك لا حاجة لـــي فيك [3] .

في هذا المشهد وما دار فيه من حوار بين زوجة يافعة غضة الشباب وزوج عجوز ، نرى الغريزة المكبوتة عند هذه الفتاة الشابة ورغبتها أن تكون زوجة لشاب في سنها ، ونرى أن المال والجاه والسمعة لا مكانة لها في العلاقة الجنسية بين الجنسين . هذه المواصفات مطلوبة ، وتبحث عنها المرأة ، لكن على شرط أن يتوافـــر مع هـــذه الصفـــات ، القوة والشباب ، لان اللذة الجنسية التي يستطع توفيرها ذلك الرجل العجوز ، جعل هذه الفتاة الشابة تعبر عن كبتها الداخلي بالبكاء ، فما أن رأت شبابا أقوياء ، يظهرون شبابهم وقوتهم ، وكأنها تقول لنفسها : أليس من حقي أن أكون زوجة لشاب مثل هؤلاء الشباب ؟ ليس هذا فحسب ، بن صرحت بذلك علنا وأظهرت امتعاضها من ضعف زوجها حين وصفته بالطير الضعيف .

هذه الزوجة أظهرت طلاقها النفسي لذلك العجوز الضعيف قبل أن يتزوجها ، ولما فرض عليها انتظرت الفرصة السانحة كي تظهر كل ما في داخلها دفعة واحدة . وما طلبته هذه الشابة ، تطلبه أي فتاة . وهذا من حقها ، لكن اذا كانت هذه الفتاة قد استطاعت أن تنفصل عن ذلك الزوج المفروض بماله وموقعه الاجتماعي من موقع احترام هذا الزوج

---

١ ــ يعتلجون : يتصارعون
٢ ــ الناهضين كالفروخ : أي ضعاف كالفراخ
٣ ــ عيون الاخبار لابن قتيبة ٤/٤٧ ــ ٤٨

لذاته . واحترام هذه الزوجة لذاتها . فهذا لا يعني أن كل الرجال من هذا النوع يحترمون ذاتهم • وليس كل النساء يتخذن الموقف الذي اتخذته هذه الزوجة • وهناك أمثلة كثيرة من الواقع الاجتماعي تدلل على أنانية الرجل وعدم احترامه لذاته . تجاه زوجته وتجاه الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه • وتثبت هنا واحدة من الحالات الكثيرة الموجودة في المجتمع والتي تتشابه مع الحالة التي عرضناها من التراث•

مضمون الحالة :

فتاة تزوجت وهي في العشرين من عمرها وتحمل الشهادة الثانوية ومنتسبة الى احدى كليات الجامعة • تزوجت من رجل . عمره أربعون عاما ويحمل شهادة جامعية ، ويتمتع بوضع مادي جيد ، وبضعف جسدي وفيزيولوجي • وعلى الرغم من ذلك ، فقد وظف أمكاناته المادية والمعنوية حتى استطاع أن يتزوج هذه الفتاة رغما عنها بسبب ضغط أهلها عليها •

اكتشفت هذه الزوجة ضعف ذلك الرجل الاناني الذي لا يحترم ذاته . فطلبت منه أن يطلقها ، فرفض طلبها . وأكد تمسكه بها •

صارحته برغبتها في ممارسة الجنس ، وبضعفه الذي لا يحقق هذه الرغبة ، فوافق أن تمارس الجنس مع غيره وبمعرفته شريطة أن يبقى زوجا شكليا • رفضت الفكرة ، وقالت له : كيف تسمح لنفسك أن تمارس زوجتك الجنس مع غيرك مقابل أن تبقى مجرد صورة تمثل الزوج ؟ ثم اذا اقتنعت بما تقول ، وأنجبت أطفالا من غيرك ، فما موقفك من هؤلاء الاطفال وهم ينادوك يا بابا ؟ قال : هذا شأني أنا ، وأنا موافق على ذلك • الناس لن يعرفوا ذلك والاطفال أيضا ، الا من خلالك • وأنت لن تسببي لنفسك تلك السمعة السيئة •

انتظرت هذه الزوجة الفرصة المناسبة ، لكن هذه الفرصة لم تأت. أخبرت أمها بالوضع . فكان رأيها ألا يعلم أحد ، وعليك أن تصبري ، لان سمعة اهلك اهم مما انت فيه . فما عليك الا ان تصبري وهـذا حظك . لكن عليك أن تصوني شرفك وشرف عائلتك .

انطوت هذه المخلوقة على ذاتها ، وبدأت تقاوم عواطفها ومشاعرها واستمرت على هذه الحال ما يقارب العام .

نفذ صبرها ، وقررت أن تقيم علاقة مع أي انسان ترتاح له . وظهر هذا الانسان في حياتها . وكان شابا قوي البنية حسن المظهر . جماله لا بأس به . عمقت علاقتها معه ، وبدأت تمارس قناعتها مع هذا الشاب .

استمرت العلاقة ما يقارب العام ، ومن ثم انتهت بسبب مغادرته المحافظة التي تعيش فيها السيدة طلبا للعمل . خلال هذه السنة كانت هذه السيدة قد أنجبت طفلا لا تدري ان كان من هذا الشاب ، أم من زوجها الشرعي لكن فرحة الزوج الشرعي بهذا الطفل لا توصف . ومما قاله لها هذا الزوج الشرعي من وجهة نظر القانون والمجتمع : أرأيت كم أنا سعيد بهذا المولود الذي انتظرته طويلا ، ويجب أن تكوني أنت سعيـدة أيضا . فان كنت أنا الوالد الشرعي لهذا الطفل ، فذلـك يجـب ألا يغضبك . وان كان صديقك هو والد الطفل ، فهاهو قد غادر المحافظة ، ولن يعود وقد ترك لك ذكرى جميلة .

كان الصمت جواب هذه السيدة . لكنها كانت بينها وبين نفسها ، تتمنى لو لم يكن زوجها الشرعي قد ظهر في حياتها ، ويكون ذلك الشاب هو الزوج الشرعي والاب الشرعي لطفلها الذي تحبه على الرغم من أن هذا الشاب متزوج ، وله أطفال ، وحالته المادية لا يحسد عليها ، وغير متعلم ، لكنه صاحب مهنة ــ حداد ــ .

بعد ثلاثة أشهر تعرفت هذه السيدة رجلا يحتل مركزا اجتماعيا مهما ، لكنه كبير السن • استمرت علاقتها معه بحدود خمسة أشهر • التقته خلال هذه المدة عدة لقاءات . فاقتنعت أن هذا المسؤول ليس هو الصديق الذي تبحث عنه ، وهو ليس عنـده الوقت الكـافي لتحقيق رغباتها •

اعترفت هذه السيدة أنها لم تعد قادرة على البقاء من دون اقامة علاقة . وبخاصة بعد أن استمتعت باللذة الجنسية التي كانت محرومة منها • ولم تعد مهيأة نفسيا لاقامة مثل هذه العلاقات ، لان ذلك يؤلمها نفسيا ، ويعيشها عذاب الضمير •

وما دام زوجها الشرعي غير قادر على تحقيق رغباتها ، فقد قررت أن تكون علاقتها القادمة التي ستقيمها هي الاخيرة ، بمعنى : ألا تقيم علاقة مع أي انسان ، الا بشرط أن يتزوجها •

بعد مضي فترة قصيرة ، تعرفت الى رجل متزوج وله ستة أطفال يعمل سائقا في احدى دوائر الدولة • زوجته وأطفاله يعيشون مع أهله ويذهب اليهم مرة في الاسبوع • يعيش بعيدا عن زوجته وأطفاله ، لانه لم يكن له رأي في اختيار زوجته • فتركها عند من اختاروها له •

يمتلك الاستعدادات الكاملة للزواج من اية انسانة تنال اعجابه ، فكانت هذه السيدة موضع اعجابه ، والهدف الذي يسعى لتحقيقه • هو غير متعلم ، ولا يملك سوى راتبه وهي طالبة في الجامعة ، وتمتلك بيتا ، وفي حوزتها مبلغ من النقود • تعيش مع رجـل كبـير السن • وضعيف الجسد والبنية • وهو شاب فيه كل صفات الرجولة ، ومـا يزال في الثلاثين من عمره •

استمرت علاقتهما ما يقارب العام ، وحين اتخذا قرارهما بالزواج، فوجىء هذا الصديق بصديقته حاملا • اضطر أن ينتظر عاما ونصف العام • لكن العلاقة لم تنقطع ، وكانت هذه السيدة تضغط على زوجها الشرعي ، لكي يطلقها ، لكنه رفض ذلك على الرغم من معرفته بعلاقتها مع ذلك الرجل المتزوج •

اتفقت هذه السيدة مع صديقها على الزواج مهما كانت النتائج ، وتزوجا • وحين انتشر خبر زواجهما ، جن جنون الاهل ، وذهب الزوج الى المحكمة الشرعية ، يطالبها باطاعته ، وعودتها الى بيته • واجهت أهلها وزوجها وكل الناس • وواجه زوجها الجديد الضغوط التي تعرض لها من زوجته الاولى وأهله ، وأهل زوجته الاولى ، والثانية • واضطر الزوج الاول بعد هذا كله ، بتطليق زوجته • فباعت البيت الذي كان ملكا لها ، واشترت بيتا بعيدا عن أهلها وزوجها • وهي سعيدة بزواجها ، ومقتنعة بأن علاقتها بأهلها لا بد أن تعود الى وضعها الطبيعي •

ما عرضناه ، هل من المعقول أن يختلف اثنان على النتائج التي كانت سببا لاصرار هذا الزوج الذي أراد أن يبدل شيخوخته وضعفه بالمال : ليحول تلك الفتاة الى زوجة منحرفة ، ويجعل من نفسه أبا لاطفال يستطيع هو أن يحدد أبوتهم • ثم ما ذنب تلك السيدة التي عاشت مطلقة نفسيا مع زوج يرضى لنفسه ما هو مرفوض اجتماعيا وانسانيا وأخلاقيا ؟

وأخيرا أهل هذه السيدة الذين خططوا لسعادة ابنتهم مع ذلك الرجل الغني ، كيف يقوّمون الان تصرفهم ؟ وكيف يفكرون بالتواصل مع ابنتهم المتمردة ؟ ولو حاولنا أن نحصي عدد الضحايا ، فكم عددهم الان ؟

بكل الاحوال ما نبتغيه من عرض هذه الحالات الاجتماعية ، أن تكون محطات يقف عندها الجميع ، ومن يقف عندها ويبتعد عن أسبابها فلن يدفع الثمن الذي دفعه المعنيون بها •

الجميع يجمعون الرأي على أن قوة الرجل تثير أنوثة المرأة بمقدار ما يثير الرجل ويجذبه لين المرأة ونعومتها •

ويرى العالم الاجتماعي (هافيلوك أليس) أن الاعجاب بالرجل القوي مرتبط بقدرته الجنسية ، وأن القوى الجسمانية دليل عليها • فلو أن المرأة خيرت بين رجل في جمال (فينوس) اله الجمال وبين رجل في قوة (هركول) اله القوة ، لاختارت الاخير • وكما ترغب المرأة في الشاب القوي فهو يرغب في المرأة الفتية ، لتتوافق الغريزة في الجنسين، ويزهد في المرأة المسنة • فلم تعد سهام لحاظها قاتلة ، مهما تزينت وتصابت • فقد ولى شبابها ، وجف ماء صباها •

واذا كان الشباب عنصرا أساسيا في الزواج ، فان تكافؤ السن يبدو ضروريا • بيد أن الفقهاء لم يجعلوا من تكافؤ السن شرطا لازما في عقد الزواج ، كبقية عناصر الكفاءة ، بل وجدوا أن الرجل متى توفرت فيه كفاءة النسب والمال والمهنة ، وما يقرره الشرع والعرف من عناصر أخرى ، أضحى أهلا للزواج من المرأة ، ولو كان بينهما تفاوت كبير في السن • وعندهم أن المرأة وسيلة للمتعة والانجاب ، وقد قضت التقاليد التي ألزمتها بالعزلة وحرمتها من العلم ، أن تتزوج بمن يرتضيه ابوها أو وليها ، فهو وحده له حق تقدير مصلحتها من هذا الزواج وعلى البنت الطاعة ، والا تخالف أمره • ولا نرى أحدا من فقهاء المذاهب جعل السن من أوصاف الكفاءة غير فريق من فقهاء الشافعية ، ذهبوا الى أن

من شروط الكفاءة السلامة من العيوب ، ومنها ألا يكون في الزوج ما يكسر سورة التوقان : بمعنى ألا يكون في حالة تنفر منه المرأة ، ولا تشتهيه . وعلى هذا الاساس اجتهد الفقيه الروياني وهو من فقهاء المذهب الشافعي ـ بأن الشيخ ليس كفؤا للشابة لانه يكسر سورة الطوقان عندها[1]، وخالفه في ذلك فقها مذهبه مجمعين مع فقهاء المذاهب الاخرى على أن التفاوت في السن بين الزوجين لا يعتبر نقصا ما جعل حقا للزوجة فان كانت راضية صح العقد .

لقد تضمنت بعض قوانين الاحوال الشخصية في البلاد العربية نصا يقضي بتكافؤ السن بين الزوجين ، منها ما ترك للقاضي [٣] ، ومنها ما جعل حقا للزوجة فان كانت راضية صح العقد [٣] .

٢ ـ مفهوم الجمال

تختلف معايير الجمال عند الشعوب فما هو عند البعض حسن هو عند البعض الاخر قبح . ومهما اختلفت معايير الجمال ، يمكن وصفه بأن قوة تجذب الرجل الى المرأة التي تتحلى به . وتجذب المرأة الى الرجل الذي يتحلى به . من الرجال ما يعجب بالمرأة السمراء ، ومنهم ما تعجبه المرأة الشقراء ، ومنهم ما تعجبه المرأة النحيفة ، ومنهم ما تعجبه المرأة الممتلئة . ومنهم ما يعجب بعيون المرأة ، ومنهم ما يعجب بشعرها الى ما هنالك من أجزاء في جسد المرأة . والمقاييس التي يشترط الرجل

---

١ ـ شرح المنهاج للرملي ٦/٢٥١

٢ ـ شرح المنهاج المصدر المتقدم

٣ ـ نصت المادة ١٩ من قانون الاحوال الشخصية في الجمهورية العربية السورية الصادر بالقانون رقم ٥٩ لسنة ١٩٥٣ على أن الخاطبين اذا كانا غير متناسبين سنا ولم يكن مصلحة في هذا الزواج فللقاضي ألا يأذن فيه .

توافرها في المرأة . لها ما يقابلها من مقاييس تشترط المرأة توافرها في الرجل •

ثمة أسئلة كثيرة تطرح نفسها • اذا كان الجمال قوة تجذب الرجل والمرأة على حد سواء . فهل تستمر قوة الجذب هذه بعد الزواج بالقوة نفسها ؟ أم يطرأ عليها تغيير ما ؟ وهل طرأ هذا التغيير باتجاه قـــوة الجذب أو بعكس هذا الاتجاه أم أن قوة الجذب هذه أصبح لها معنى جديد وقوة جذب تختلف عن القوة التي كانت تجذب المرأة والرجل قبل الزواج ؟

هذا ما نرغب الاجابة عنه ، بعد أن نلقي الضوء على المعايـــير الدقيقة للجمال عند العرب •

ونثبت فيما يلي ما رواه صاحب العقد الفريد في وصف جمال الفتاة التي تزوجها ملك كنده الحارث بن عمرو بن حجر الكندي جد الشاعر الجاهلي امرىء القيس • لما فيها من معان مهمة ومقاييس جمالية دقيقة:

أراد هذا الملك أن يتزوج . فبلغه خبر جمال ابنة عوف بن محلّم الشيباني ، وكمالها وقوة عقلها . فدعا امرأة من كندة يقال لها (عصام) ، ذات عقل ولسان وبيان وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنـــة عوف • مضت حتى انتهت الى امها . فأعلمتها بما قدمت اليه . فنادت الام وقالت:أي بنية:هذه خالتك أتت تنظر اليك.فلاتستري عنها شيئاً ان أرادت النظر اليه ، من وجه او خلق ، وناطقيها اذا استنطقتك • فدخلت عليها عصام فتعرت البنت لها ، فرأت ما لم تر قط مثله . فخرجت مـــن عندها وهي تقول : ترك الخداع من كشف القناع • ثم انطلقت الـــى الحارث الكندي ، فلما رآها مقبلة قال لها :

ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرح المخض عن الزبد [١] فذهب مثلا ، قال أخبريني ، قالت : « أخبرك صدقا وحقا :

« رأيت جبهة كالمرآة الصقلية ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة ، ان أرسلته خلته السلاسل ، وان مشطته ، قلت عناقيد كرم حلاّه وابل [٢] . ومع ذلك حاجبان ، كأنهما خطا بقلم ، أو سود الجمم، قد قوسا على عين مثل عين العبهرة التي لم يروعها قانص ولم يذعرها قسورة [٣] .

بينهما أنف كحد السيف المصقول ، لم يخنس عن قصر،ولن يمعن به طول [٤] حفت فيه وجنتان كالارجوان ، في بياض مالجمان [٥] . شقا فيه كالخاتم ، لذيذ المبسم ، فيه ثنايا غر ذوات أشر ، وأسنان تعد كالدرر ، وريق تنم اليك منه ريح الخمر أو نشر الروض بالسهر . يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، يغلبه عقل وافر ، وجواب حاضر ، يلتقي دونه شفتان حمراوان كالورد ، تحلبان ريقا كالشهد . تحت ذلك عنق ، كابريق الفضة ، ركّب في صدر تمثال دمية . يتصل به عضدان ممتلئان لحما ، مكتنزان شحما ، وذراعان ليس فيهما عظم يحس ولا عرق يجس ، ركبت فيهما كفان رقيق قصبهما ، لين عصبهما ، تعقد ان شئت منهما الانامل ، وتركب الفصوص في حفر المفاصل . وقد

---

١ ـ صرح : كشف . المخض : استخلاص الزبد من اللبن مثل يضرب لكشف الحقيقة

٢ ـ الوابل : المطر الشديد ، الضخم القطر .

٣ ـ الجمم : كل شيء أسود . قسورة : الاسد ، العبهرة : الظبية .

٤ ـ الخنس : تأخر أرنبة الانف .

٥ ـ الجمان : اللؤلؤ .

تربع في صدرها رمانتان . ومن تحت ذلك بطن طوي كطي القباطي المدمجة . كسي عكنا كالقراطي المدرجة . تحيط تلك العكن بسرة كدهن العاج المجلو[1] ، خلف ظهر كالجدول . ينتهي الى خصر . لولا رحمة الله لانخزل[2] تحته كفل يقعد بها اذا نهضت . وينهضها اذا قعدت . كأنه دعص رمل . لبده سقوط الطل [3] . يحمله فخذان لفاوان كأنهما نضد الجمار . تحملهما ساقان خدلجتان [4] . ويحمل ذلك قدمان كحذو اللسان . تبارك الله في صغرهما كيف تطيقان حمل ما فوقهما [5] .

فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه . غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو نثر .

فلما سمع الحارث هذا الوصف أرسل الى ابيها فخطبها فزوجه اياها [6] .

في العصر العباسي ازدهرت الحضارة وأترف الناس الى المرأة المجدولة التي يشبه قوامها الخيزران . المتناسقة الاعضاء . المكسوة العظام . من اللواتي لا سمن في أجسادهن ولا ترهل . وقد جمع الجاحظ عناصر الجمال المتطور بقوله : وأكثر البصراء بجواهر النساء . الذين هم جهابذة النقد . يقدمون المجدولة . وهي التي بين السمينة والمشوقة

---

١ ـ القباطي : ثوب من الكتان منسوب الى القبط . الكعن : ما انطوى من لحم البطن سمنا .
٢ ـ انخزل : انقطع
٣ ـ مجتمع الرمل . الطل : الندى او المطر الخفيف .
٤ ـ خدلجتان : ممتلئتان من السمن . الجمار : شحم النخل
٥ ـ كخذو اللسان : كقطعة اللسان
٦ ـ العقد الفريد ١١٠/٦ . أمثال الميداني : ما وراءك يا عصام . بلوغ الارب للالوسي ١٧/٢

ولا بد من جودة القد ، وحسن التجريد ، واعتدال المنكبين ، واستواء الظهر ولا بد أن تكون كاسية العظام بين الممتلئة والقضيفة [١] ولذلك قالوا : كأنها غصن بان ، أو قضيب خيزران ، وجدل عنان [٢] .

والجمال كما هو مرغوب في المرأة ، مرغوب في الرجل . فالمرأة تكره من الجل ما يكره منها . فكما يحب أن تكون زوجته وسيمة جميلة تحب المرأة أن يكون زوجها وسيما جميلا . فالجمال كالشباب كلاهما يثير الجذب في الجنسين . وفي صدر الاسلام اشتهر شباب بجمالهم منهم وضاح اليمن ، ومحمد بن ظفر بن عمير الملقب بالمقنع الكندي ، وأبو زيد حرملة بن المنذر الطائي ودحية الكلبي . فقد روي أنهم كانوا اذا دخلوا المدينة كانوا يسترون وجوههم خوفا من العين وحذرا على أنفسهم من النساء .

كنا قد طرحنا عدة أسئلة حول ما اذا كان الجمال قوة تجذب الرجل والمرأة على حد سواء . فهل تستمر قوة الجذب بعد الزواج بالقوة نفسها ؟ أم يطرأ عليها تغيير ما ؟ وهل طرأ هذا التغير باتجاه قوة الجذب أم بعكسها ؟ أم أن قوة الجذب هذه أصبح لها معنى جديد وقوة جذب تختلف عن القوة التي كانت تجذب المرأة والرجل قبل الزواج ؟ ونجيب عن هذه الاسئلة بالقول :

للجمال دوره المؤثر في الحياة الزوجية ، وقوة الجذب الجنسية بين الرجل والمرأة ، لكن هذا الدور قد يكون ايجابيا ، وقد يكون سلبيا ، وقد يتحول الى كارثة .

---

١ ــ القضيفة : النحيفة .
٢ ــ جدل عنان : العنان وهو الحبل المجدول

يكون ايجابيا اذا كان هناك توافق في الجمال بين المرأة والرجل . ويكون سلبيا اذا لم يكن هذا التوافق متوافرا . وقد يتحول الى كارثة في الحالتين . اذا لم تتوافر شروطا أساسية منها :

٣ ـ التوافق في الجمال

يبحث الرجل عن المرأة الجميلة ، والمرأة تبحث عن الرجل الجميل. بيد أن القسر الذي فرض على المرأة تاريخيا حولها الى هدف يحاول الرجل اصطياده بوسائل عديدة ، تفتقدها المرأة . وهذه الوسائل أتاحت للرجل اختيار المرأة الجميلة ولم تتح للمرأة اختيار الرجل الذي ينال اعجابها . بيد أن هذه الوسائل ليست متاحة لكل الرجال . فهي متاحة لابناء الاقطاعيين والبورجوازيين ووجهاء القرى والاحياء ، وحملة الشهادات العليا ، وغير متاحة لابناء الفقراء ، والاسر المغمورة . وليس هذا فحسب ، بل ان الاقطاعيين والبورجوازيين وزعماء العائلات يفرضون على أبناء الفقراء والاسر المغمورة الذين يتمتعون بالجمال أن يكونوا أزواجا لبناتهم اللواتي يفتقدن الجمال والمرفوضات من قبل (أبناء النخبة) .

وهكذا يتساوى جمال الشاب الفقير ببشاعة الفتاة الغنية. وبشاعة الشاب الغني بجمال الفتاة الفقيرة . ويتساوى سن الشيخوخة عند الاغنياء بسن الشباب عند الفقراء . وتكون نتيجة هذا أن أبناء وبنات الاغنياء يجعلون من أبناء وبنات الفقراء وسيلة للمتعة . وبالتالي تكون الحياة الزوجية متعة طرف على حساب الطرف الاخر . وسعادة طرف على حساب قهر الطرف الاخر . هذا جانب من الجوانب التي لها علاقة في التوافق أو عدم التوافق في الجمال بين الرجل والمرأة .

فقد يحصل عدم التوافق الجمالي بين الرجل والمرأة ويكون

اختيارهما لبعضهما اختيارا حرا . وقد يكون سبب ذلك اعجاب الرجل بثقافة المرأة أو وضعها المادي الجيد أو اعجابه بجزء أو أجزاء من جسدها : مثل قامتها ، لون عينيها ، شعرها .. الخ وقد تعجب المرأة الجميلة برجل ما لرجولته أو ثقافته أو سمعته الاجتماعية من دون أن يكون هذا الرجل جميلا . فاذا كان هذا الرجل قد تزوج هذه المرأة لثقافتها ، فسيكتشف بعد حين ، أن الثقافة لا تغني عن الجمال . واذا كان قد تزوجها لجمالها فسيكتشف أيضا أن الجمال ليس كل شيء . ليس هذا فحسب ، بل سيكتشف أن جمال زوجته قد تحول الى عبء نفسي غير قادر على تحمله لان زوجته ستجعل من جمالها ورقة رابحة في يدها ، تستعملها كلما رأت ذلك ضروريا وسيسبب له هذا الجمال غيرة تعذبه وتتحول هذه الغيرة ـ وان كانت وهمية ـ ألما نفسيا تؤذي شخصيته ومشاعره سواء أكانت شخصية هذا الرجل قوية أو ضعيفة .

ان ما ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة . والالم النفسي الذي يعانيه الرجل تعانيه المرأة . وغالبا ما تعاني المرأة أكثر من الرجل وبخاصة في المجتمعات المحافظة ، والفقيرة ، لان المرأة في هذه المجتمعات بحكم العادات والتقاليد السائدة ، ممنوع خروجها من البيت الا الى أماكن محددة ، وفي أثناء النهار فقط . فان كانت طالبة ، فمسموح لها أن تذهب الى المدرسة وتعود الى البيت في الوقت المحدد . وان كانت موظفة فهي تذهب الى وظيفتها وتعود الى البيت من العمل مباشرة . وان كانت سيدة بيت فهي تذهب الى جارتها بعد طلب الاذن من زوجها ، أو تذهب مع زوجها .

أما الرجل فلا قيد عليه من أهله وزوجته ، فهو يذهب الى المكان

الذي يشاء ، وهو غير ملزم أن يحدد المكان الذاهب اليه أو يحدد زمن عودته الى البيت .

كل هذه الاسباب مجتمعة ، تولد مع مرور الزمن ، آلاما نفسية تعاني منها المرأة ، لكن ذلك لا يعني ان الزوج متحرر منها ، لان المرأة لا بد أن تعكس معاناتها على زوجها .

والاسباب تعود الى العادات والتقاليد والمفاهيم الاخلاقية والتربوية التي أعطت الحق للرجل أن يغادر البيت ومنعته عن المرأة . وهذه الاسباب أدت الى توليد الاوهام عند المرأة ، وولدت أوهاما أخرى عاناها الرجل . وهذه المعاناة نتجت عن أسباب وهمية ، وهذه النتيجة التي ولدت الاوهام ولّدت أسباب أخرى أدت الى تدمير علاقة كانت قائمة على أسس معقولة .

وهناك أمثلة كثيرة من السهل استنباطها من الواقع الاجتماعي ، وفيما يلي نثبت حالتين من الحالات الاجتماعية الكثيرة التي عرفناها عن قرب . هاتان الحالتان يمكن اعتبارهما نموذجين يمثلان الاشكالات التي يمكن أن تحصل داخل كل أسرة فيها ، فروق جمالية وتدن في مستوى الوعي سواء أكان هذا التدني يمثل الزوج والزوجة ، أو أحدهما .

الحالة الاولى :

شاب وفتاة اختارا بعضهما بعضا بارادتهما من دون تدخل طرف خارجي . الشاب أشقر والفتاة سمراء . واذا دققنا في جمالهما نقول : الشاب أجمل من الفتاة لكن ضمن الوضع الطبيعي . ثقافتهما متشابهة، وتربيتهما متشابهة ومؤهلهما العلمي متشابه أيضا . حيث أنهما يحملان الشهادة الاعدادية .

الوضع المادي للشاب مثل أوضاع الاغلبية الساحقة من شباب

البلدان النامية . فهو شاب من ذوي الدخل المحدود . والفتاة التـــي اختارها واختارته تعرف ذلك قبل الزواج .

تزوجا وكانت حياتهما هادئة ــ وهذا اعترافهما ــ . وبقيا على هذا الوضع ما يقارب خمس سنوات أنجبا خلال هذه المدة ثلاثة أطفال. فرر هذا الزوج أن يبدل شروط حياته المادية فاتجه باتجاه تأمين عمل اضافي وهذا العمل الاضافي قلل من تواجده في البيت . وهذا وضع طبيعي . واستطاع من خلال عمله الاضافي أن يحسن وضعه المادي ، وتحسين هذا الوضع انعكس ايجابيا على سكنهما ومعيشتهما ولباسهما. أما الذي تغير من وجهة نظر الزوجة لباس زوجها واعتناؤه بنفسه . وهذا التغيير جعلها تدقق في كل خطوة يخطوها هذا الزوج المنتج . تسأله اذا تأخر عن البيت ، تظهر غيرتها اذا خرج من البيت لزيارة الاصدقاء ، تتأفف اذا تعطر . تعترض اذا اشترى قطعة من لباس دون اخذ رأيها . تحاسبه اذا علمت أنه صرف أي مبلغ من المال خارج البيت . حاول أن يدلل بالتزامه على حسن سلوكه وسعادته في بيته وعدم اهتمامه الا ببيتـــه وزوجته وأطفاله وعمله . وفي كل مرة كان يحاول مثل هذه المحاولة كانت نظرات الشك تطارده . أزعجه هذا الوضع ، لكنه لم يستطـع أن يؤثر فيه . فكان رأيه أن الايام كفيلة بتأكيد صدقه ، وبالتالي اقناع زوجته بصدق نواياه . لكن الايام التي كان ينتظر منها تأكيـد صدق تصرفه والتزامه بزوجته وبيته وأطفاله لم تأت ، بل جاءت الايام التي لم يكن ينتظرها .

هذا الشاب يسكن في أحد احياء المدينة الكبيرة . المعروفة بزيادة عدد سكانها .

في أحد الايام ، كان هذا الزوج عائدا من عمله الى البيت ، استقل باصا مزدحما ولسوء حظه ، كان موقعه في الباص بالقرب من مجموعة

فتيات ، واحدة منهن تستعمل مكياجا من النوع الرديء ، كلما اهتز الباص تهتز هذه الفتاة وباهتزازها توزع أحمر الشفاه على رجل هنا وفتاة هناك • ومن سوء حظ هذا الزوج ــ ولكي تهتز صورته ــ في عين زوجته اهتزاز الباص الذي يستقله واهتزاز تلك الفتاة ومكياجها ــ دمغت قميصه بأحمر الشفاه • فأدرك أن الوضع في البيت لن يكون مريحا لدى رؤية زوجته قميصه الذي لم يسلم من المكياج • ناقش الامر بينه وبين نفسه ، وقرر أن يفهم زوجته ما حصل بصدق وأمانة •

وصل الى البيت وأول ما رأت تلك الزوجة من زوجها ذلك القميص المسكين • أول كلمة قالتها : أهلا • أعتقد أنه لم يعد بامكانك أن تخدعني بعد ذلك • كنت واثقة أنك هكذا • لكن الحمد لله الذي اظهرك على حقيقتك • حاول الزوج البريء أن يوضح لها الصورة : فلم يسمع منه كلمة واحدة •

هذه الحادثة كانت القنبلة الموقوتة ، وكل محاولات زوجها التي حاولها كي يمنع زوجته من تفجير تلك القنبلة باءت بالفشل ، وكانت النتيجة انفصالهما عن بعضهما •

طبعا استمرت حياتهما مع بعضهما بعد هذه الحادثة مدة عامين كانت حياتهما جحيما • لكن هذه الحادثة لم تكن هي الاساس في تدمير علاقتهما ، بل كان الاساس قناعتها أن جمال زوجها الذي يفوق جمالها كاف لجذب النساء ، وهو يملك كل الاسباب • وجاءت هذه الحادثة لتؤكد لها الاوهام الموجودة في ذهنها ، وتصنع من هذه الاوهام أسبابا لا وجود لها على أرض الواقع • الى أن أدت هذه الاسباب الى النتيجة التي ذكرناها •

ذكرنا الاسباب والنتيجة ، ولم نسهب في التفاصيل باعتبار أنها ليست مهمة من وجهة نظرنا •

الحالة الثانية :

شاب من أسرة غنية حين قرر أن يتزوج ، بدأ بالبحث عن فتـاة متميزة الجمال ، فالجمال شرطه الاساسي وهو يفتقد هذا الشـرط . أخبره أحد الاصدقاء أن في مدينة ما ، أسرة فيها خمس فتيات متميزات الجمال . ذهب الى هذه المدينة ، وزار تلك الاسرة وفعلا وجد الجمال الذي يبحث عنه . ولم يستطع أن يتمالك أعصابه ، فطلب من رب هذه الاسرة أن يزوجه احدى بناته دون تحديد .

بادىء ذي بدء قدم نفسه على أنه من أسرة غنية معروفة وهـو مستعد لتنفيذ كل شروط والد الفتيات وشروط من توافق أن يكون زوجا لها .

رحب به رب هذه الاسرة وقال له : عليك أن تختار أولا واحدة من بناتي ، ونأخذ رأيها ان كانت موافقة ، وبعد ذلك تذهب الى أهلك وتخبرهم بذلك وفي زيارتك الثانية برفقة والديك ، نناقش كل الامور .

اختار هذا الشاب واحدة من تلك الفتيات كونها الاجمل .

الفتاة التي اختارها ترغب بالزواج من شاب غني وما دام هـذا الشرط متوافر فيه ، فقد وافقت على الفور من حيث المبدأ .

عاد هذا الشاب ، والفرحة تغمر عينيه ، وفور وصوله الى البيت كانت الكلمة الاولى التي قالها لوالديه : لقيتها لقيتها .. التقيت بالفتاة التي أبحث عنها . ومن المستحيل أن أتزوج غيرها .

والد هذا الشاب ووالدته يهمهما تحقيق رغبة ابنهما وبعد ثلاثة أيام كانت الزيارة الثانية لهذا الشاب ، الى تلك الاسرة الفقيرة ومعـه والداه . باختصار تمت ترتيبات الزواج بأسرع ما يمكن ، وتحقق طموح هذا الشاب وطموح الفتاة أيضا . كانت سعادة هذا الشاب وسعادة تلك

الفتاة لا توصفان • فهو حقق ما كان يبحث عنه ، وهي حققت ما كانت تبحث عِنه أيضا •

وكان أهل هذا الشاب وأهل تلك الفتاة سعداء •• فسعادة أهل الشاب تنبع من سعادة ابنهما أولا ، ولجمال هذه الفتاة ثانيا • وتكمن سعادة أهل الفتاة في تحقيق ما لا يقدرون على تحقيقه لابنتهما من هذا الزواج•

لم تدم هذه السعادة طويلا ، لان جمال هذه الزوجة تحول الى شبح مخيف يطارد الزوج خوفا من أن يأتي اليوم الذي يستمتع غيره بهذا الجمال خاصة بعد كثرة مقارنات الناس بين جمال الزوجة وبشاعة الزوج ، وبعد أن اكتشفت الزوجة أن السعادة لا تتحقق بالثروة والجاه والمركز الاجتماعي المزور واللاشرعي ، وأصبحت تتمنى لو كانت زوجة لشاب فقير ترتاح له نفسيا حتى لو كان هذا الشاب يعيش في خيمة ، وعلى الرغم من كل هذا القهر النفسي اقتنعت الزوجة بما هي فيه ، لكن خوف الزوج على جمال زوجته حول حياتهما الى شقاء لا يطاق •

فرض هذا الزوج الاناني على زوجته عدم الخروج من البيت ، وفرض عليها لباسا ترفضه ، وفرض كل أنواع القسر والقهر وحاول أن يحولها الى دمية يستمتع بها حين يشاء ويهجرها حين يشاء • ليس هذا فحسب بل وظف ثروته لتحقيق متعته خارج البيت • مارس شرب الحشيش ولعب القمار وشراء بائعات الهوى ، حتى أعلن افلاسه • ليس هذا فحسب بل طرد زوجته من البيت ، وغادر القطر الذي يعيش فيه الى قطر آخر •

عادت هذه الزوجة الى منزل أهلها ومعها طفلان ، عادت محطمة وحاقدة على جمالها الذي دمر حياتها وحاقدة على الاغنياء الذين لا ينظرون الى الفتاة الا باعتبارها وسيلة للمتعة ورافضة لدينها الذي يرفض الطلاق ، الا بعد سبع سنوات من الهجر •

قررت هذه السيدة أن تعيش حياتها بكرامة ، تعلمت الخياطة بدأت تنتج ، واستطاعت بسلوكها الجيد وانتاجها أن تنال احترام وتقدير الوسط الاجتماعي الذي تعيش فيه ، لكن زوجها لم يتركها بحالها . فقد حرمها من طفليها ومنعها من رؤيتهما ، واستمر الوضع على هذه الحال مدة سبع سنوات . بعد هذه المدة وفي أول لقاء بين هذه السيدة وولديها فوجئت بما لم تكن تتوقعه . فوجئت بفعل زوجها المنحرف ، فذهبت الى المحكمة وأقامت دعوى على زوجها وكان قرار المحكمة حبس الزوج مدة سبع سنوات ، فر الزوج من وجه العدالة وهدد زوجته باسقاط حقها واذا لم تفعل فسيقتلها ، وحين رفضت أن تسقط الحق أطلق عليها خمس رصاصات واستطاع أن يهرب من وجه العدالة الى احد الاقطار العربية .

وهكذا انتهت هذه الصفقة الى مأساة كان ضحيتها أربعة أشخاص أبرياء .

٤ ـ التوافق في ممارسة الجنس

التوافق في ممارسة الجنس يعني تحقق اللذة الجنسية للمرأة والرجل في وقت واحد ، وكل ممارسة لا تحقق هذه اللذة نقول عنها : انها علاقة جنسية لا شرعية ولا انسانية . لانها تحققت لطرف على حساب الطرف الاخر . ولكي تتحقق هذه الحالة الانسانية لا بد من توافر شروطها ، وحول توافر هذه الشروط هناك آراء متباينة لها علاقة بالشكل والمضمون والتركيب الفيزيولوجي . وما دمنا قد قسمنا دور العلاقة الجنسية في الطلاق النفسي الى صفات خَلقية وخُلقية ، وقسمنا الصفات الخَلقية الى شروط لا بد من توافرها من توافق في السن الى توافق في الجمال ، الى توافق في ممارسة الجنس الى توافق في التفكير

•• الخ . فسنقتصر في بحث التوافق في ممارسة الجنس على الشروط الضرورية التي تحقق اللذة الجنسية والتي يجب توافرها في الرجل والمرأة بشكل عام والزوج والزوجة بشكل خاص •

ولكي نقترب من الموضوعية نرى ضرورة تقسيم هذه المعضلة الى مرحلتين :

المرحلة الاولى : مرحلة ما قبل الزواج •

المرحلة الثانية : مرحلة ما بعد الزواج •

- **مرحلة ما قبل الزواج**

العلاقة بين الجنسين في هذه المرحلة . منها ما يقرها المجتمع بشروط ومنها ما يرفضها • العلاقة التي يقرها المجتمع بشروط هي العلاقة التي تنشأ بين الشاب والفتاة من دون أن تقترب من اللذة الجنسية ويسميها المجتمع علاقة تعارف وتفاهم ، وحب على طريق الزواج •

والنموذج الاجتماعي الذي يقر هذه العلاقة هو النموذج الواعي في المجتمع . وهذا النموذج الواعي لا يقر هذه العلاقة الا اذا كانت تحت اشرافه •

من خلال هذا التحديد نستطيع القول : ان العلاقة القائمة بين الشاب والفتاة تمت في البداية بحرية الطرفين ، ولما اكتشفت تدخل طرف خارجي وصادر هذه الحرية وحدد العلاقة وفق مشيئته التي لا تتعارض مع القيم والاخلاق السائدة • ومن خلال سلوك الطرف الخارجي نقول : ان هذه العلاقة اذا ما تم ضبطها وفق رغبة الطرف الخارجي لا يمكن أن نسميها علاقة جنسية وكل علاقة خارج هذا الاطار يسميها المجتمع علاقة لا شرعية • والعلاقات اللاشرعية موجودة في الواقع الاجتماعي ويمكن تصنيفها بالعلاقات التالية :

أولا ــ العلاقة بين الشاب والفتاة :

العلاقة بين الشاب والفتاة موجودة سواء اعترف المجتمع بشرعيتها أم لم يعترف ، لكن هذه العلاقة تتباين في النتيجة من بيئة اجتماعية الى أخرى ، ويؤثر في هذه العلاقة أسلوب تربية هذا الشاب وتلك الفتاة ، يؤثر فيها اختلاط الشاب والفتاة ، ويؤثر فيها عدم الاختلاط تؤثر فيها وسائل الاعلام سلبا وايجابا وتؤثر فيها الثقافة وعدم الثقافة. وكل هذه التأثيرات تظهر من خلال علاقة الشاب والفتاة .

الاحتمالات التي تحكم علاقة الشاب بالفتاة كثيرة قد تنجح هذه العلاقة ويتم الزواج الشرعي من دون أن يكون قد حصل أي علاقة جنسية بين الطرفين ، ــ علاقة جنسية نعني بها تحقيق اللذة الجنسية للطرفين ــ . وقد تفشل هذه العلاقة وطرفاها استمتعا باللذة الجنسية لكن العلاقة الاولى التي انتهت الى الزواج لا تعني أنها كانت العلاقة الاولى سواء من طرف الشاب أو الفتاة . قد تكون هي العلاقة الاولى للطرفين وقد لا تكون . ونحن نرجح الاحتمال الثاني . والعلاقة الثانية التي استمتع طرفاها باللذة الجنسية ، وانتهت الى الفشل لا يعني أن كل واحد منهما جرب حظه وقرر ألا يقيم علاقة ثانية . بالتأكيد سيبحث كل واحد منهما عن بناء علاقة ثانية وثالثة ، الى أن تنجح واحدة من هذه العلاقات .

النتيجة التي يمكن استخلاصها هنا أن الشاب والفتاة استمتعا باللذة الجنسية أو اقتربا من الاستمتاع بها ، وان وجدت حالات تخالف هذه النتيجة ــ وبالتأكيد هناك مثل هذه الحالات ــ فلا يمكن اعتبارها قاعدة صالحة للحكم الموضوعي .

هذه العلاقات التي تقوم بين الشباب والفتيات ، وتؤدي الى الفشل لا بد أن تترك أثرا نفسيا على علاقة الشاب بزوجته ، وعلاقة

الفتاة بزوجها مستقبلا سواء ظهر هذا الاثر أم لم يظهر ، وهذا الاثر له علاقة كبيرة في (الخيانة الزوجية) .

ثانيا ـ العلاقة بين الشاب والمرأة المتزوجة :

العلاقة بين الشاب والمرأة المتزوجة علاقة لا شرعية ولا أخلاقية، وعدم شرعيتها وأخلاقيتها سببها المرأة ، لان هذه المرأة ، سواء هي التي اختارت زوجها أو فرض عليها ، فان أي علاقة تقيمها مع غيره مرفوضة شرعيا وأخلاقيا واجتماعيا وانسانيا . وباعتقادنا أن المرأة التي تقيم مثل هذه العلاقة لا تحترم نفسها . وان كانت تمارس جزءا من قناعتها . فلو كانت تحترم ذاتها لفرضت على زوجها أن يطلقها وتزوجت الانسان الذي تقيم معه علاقة لا شرعية ، ولا أخلاقية . ولا انسانية أو فرضت على زوجها أن يطلقها لمجرد كونها غير مقتنعة به .

قد يقول قائل : ان وضع العادات والتقاليد والاعراف والظرف المادي لا يسمح للمرأة ممارسة قناعتها . ومن هذا المنطلق فهي مضطرة لاقامة مثل هذه العلاقات اللاشرعية . وببساطة نقول : ان انهاء أية علاقة غير متكافئة أفضل بكثير من استمرارها مع تدخل طرف خارجي فيها .

حملنا المرأة المسؤولية ولم نحملها للشاب ، لان من حق الشاب أن يستمتع باللذة الجنسية ، ولان المراحل التي يمر بها : تحصيله العلمي ، وتأدية الخدمة الالزامية وتأمين متطلبات الزواج تأخذ من عمره عشر سنوات على الاقل . يكون خلالها من الناحية الفيزيولوجية بحاجة الى الاستمتاع باللذة الجنسية . ومن هذا المنطلق فهو يبحث على من تؤمن له هذا الاستمتاع وان كان ذلك مرفوضا اجتماعيا وشرعيا وأخلاقيا .

مثل هذه العلاقات قائمة في المجتمع شئنا أم أبينا • وأسباب قيامها كثيرة ، منها الحاجة الى الاستمتاع باللذة الجنسية ، وتدخل الاهل في اختيار الزوجة للابن واختيار الابن للزوجة ، والوضع المادي ، والكبت الجنسي المفروض على الجنسين • هذه الاسباب المؤدية الى اقامة علاقات جنسية لا شرعية تتحول الى أسباب تؤدي الى طلاق نفسي يعيشه هذا الشاب بعد الزواج وطلاق نفسي تعاني منه الزوجة في حياتها مع زوجها ، وتؤدي الى طلاق شرعي يعاني منه أبرياء كثر • وهذا الطلاق الشرعي يولد طلاقا نفسيا وشرعيا للعلاقات التي تقوم بين مطلقة شرعا والزوج الذي يعيش الطلاق النفسي مع زوجته •

ثالثا ــ العلاقة بين الرجل المتزوج والفتاة :

هذه العلاقة أيضا علاقة لا شرعية لكنها قائمة في المجتمع • قائمة لان الرجل بحاجة الى من تؤمن له المتعة الجنسية والهدوء النفسي•واذا لم توفر الزوجة ذلك فهو سيبحث عمن توفرها بكل تأكيد •

حتى الزوج الذي توفر له زوجته الهدوء النفسي واللذة الجنسية لا يرفض مثل هذه العلاقة • واذا كان هناك من يرفض مثل هذه العلاقة ــ وهناك الكثير ــ فلا يشكلون قاعدة •

والفتاة بحاجة الى الاستمتاع باللذة الجنسية ، لكن العادات والتقاليد والقيم الاخلاقية تجبرها أن تكبت رغبتها في الاستمتاع باللذة الجنسية . واذا تمردت على العادات والتقاليد والقيم الاخلاقية السائدة في المجتمع فيكون تمردها محدودا •

والفتيات اللواتي يمارسن هذا التمرد عددهن ليس قليلا سواء

مارس هذا التمرد مع المتزوج أو مع غيره • وممارسة هذا التمرد يزيد من ضعف علاقة الزوج مع زوجته • ليس هذا فحسب بل ينبهها الـى أمور كثيرة لم تكن تعرفها • والرجل المتزوج يمتلك مقدرة خاصة في الاسلوب يفتقده الشاب الذي لم يتزوج بعد •

● **مرحلة ما بعد الزواج**

الزواج اذا توافرت شروطه الموضوعية يعني تحقيق رغبة الطرفين في الالتزام والاستقرار وانجاب الاطفال والتخطيط لمستقبل مشترك • واذا لم تتوافر الشروط الموضوعية للزواج فيعني أيضا أن على الزوج والزوجة أن يتخليا عن أية علاقة لهما قائمة قبل الزواج سواء صارحا بعضهما بعلاقاتهما التي كانت قائمة قبل الزواج أم لم يصارحا •

والسؤال الذي يطرح نفسه ما الاحتمالات المتوقعة التـي تؤثر على الحياة الزوجية ـ العلاقة الجنسية ؟ ـ •

ونجيب عن هذا السؤال المهم والخطير بالقول : ان الاحتمالات كثيرة ونتائج هذه الاحتمالات متباينة . وعلى الرغم من كل ذلك فاننا نحددها بالنقاط الاساسية التالية :

١ ـ عيوب في الجسد :

عيوب الجسد كثيرة ويشترك في هذه العيوب الرجال والنساء•وهناك عيوب ينفرد بها الرجال وعيوب تنفرد بها النساء • عيوب ظاهرة قبـل الزواج وعيوب موجودة لا تظهر الا بعد الزواج • وأخيرا عيوب يسببها الزواج •

ولما لهذه العيوب ، مجتمعة ، من دور مؤثر في الحياة الزوجية ،

ودور الطلاق النفسي والطلاق الشرعي ، فقد اخترت عينة اجتماعية عشوائية من الرجال والنساء ، وطلبت الاجابة عن السؤال التالي : ما العيوب الجسدية التي تسبب ملل الزوج من زوجته ، وملل الزوجة من زوجها ؟ اضافة للاجوبة التي حصلت عليها من المطلقات والمطلقين والتي كان للعيوب الجسدية الدور الرئيسي في حدوث الطلاق •

ولكي تكون معالجة هذه المعضلة أقرب للشمولية نرى من المهم تقسيمها الى عيوب قبل الزواج ، وعيوب يظهرها الزواج ، وعيوب يسببها الزواج ، ونثبت في الحالات الثلاث أهم الاجوبة التي حصلنا عليها :

أولا : عيوب جسدية قبل الزواج :

لسنا بصدد مناقشة العيوب الجسدية الظاهرة في جسد المرأة والرجل قبل الزواج ، لان المرأة التي اختارت الرجل على عيوبه الجسدية الظاهرة ، والرجل الذي اختار المرأة على عيوب جسدها لا يحق لاحدهما التأفف من عيوب جسد الطرف الاخر مهما كانت الظروف التي تم فيها هذا الاختيار • لكن العادات والتقاليد السائدة في مجتمعنا لا تتيح للجميع اكتشاف عيوب موجودة ، واذا ما أتيح للبعض امكانية اكتشاف بعض هذه العيوب الموجودة فهناك الوسائل المعروفة التي تغطي هذه العيوب • ومن هذه العيوب :

رائحة الفم :

رائحة الفم ، أسبابها معروفة • اما مرض في اللثة أو اصابات في الاضراس والاسنان واما اهمال تنظيف الفم واما مرض في المعدة

وكل هذه الاسباب يمكن ازالتها بالمعالجة الطبية ، والاعتناء بنظافة الفم • ومع كل هذا التقيت العديد من النساء والرجال الذين يعانون من هذه المشكلة • والسبب الرئيسي في معاناتهم خوفهم من جرح مشاعر الطرف الاخر أو النيل من كبريائه ، أو التأثير على علاقاتهما اذا ما تجرأ أحد الطرفين وعبر عن امتعاضه • وبدلا من أن يصارحا بعضهما بما هو موجود وتتم المعالجة . يعاني أحد الطرفين ألما نفسيا مكبوتا يدفعه بعد أن ينفذ صبره الى سلوك يؤثر على حياتهما وعلاقتهما وكثيرون ممن التقيت معهم كان هذا الاشكال البسيط السبب الرئيسي في الطلاق وكثيرون ممن التقيتهم من الذين لم يطلقوا بعد كان هذا الاشكال البسيط السبب الرئيسي في تدمير علاقاتهما ، وبخاصة فيما يتعلق بالممارسة الجنسية •

وببساطة نقول : ان من يمتعض أو تجرح كبرياؤه اذا ما صارحه الطرف الاخر بالاشكال الذي لا يريحه والذي يمكن ازالته ، لا يصلح أن يكون طرفا في بناء الاسرة • فان كان رجلا لا يصلح أن يكون زوجا وأبا لاطفال . وان كانت امرأة لا تصلح أن تكون زوجة وأما لاطفال • لان من لا يستطيع استيعاب وتفهم مثل هذا الاشكال البسيط اذا ما عولج والمنغص للحياة اذا بقي من دون علاج ، فكيف يمكن أن يتفهم مشكلة موجودة أو مشكلة يمكن أن توجد •

رائحه الجسد :

الشروط الموضوعية ليست متوافرة لكل شاب أن يتأكد من أن رائحة جسد الفتاة التي يرغب أن تكون زوجة له رائحة مريحة • والشروط الموضوعية ليست متوافرة أيضا للفتاة أن تتأكد مما تأكد منه الشاب . لان الفتاة حريصة كحرص الشاب ألا تقترب من الشاب الا وهي في أجمل مظهر وأطيب رائحة • وقد يكون جسد هذه الفتاةهكذا بالشكل الطبيعي من دون وسائل خادعة ، وقد لا يكون • وقد يكون

جسد الشاب هكذا وقد لا يكون • بيد ان الحقيقة لا بد أن تظهر بعد الزواج • واذا كانت الحقيقة التي ظهرت لا تريح أحد الطرفين ستبقى حالة منغصة للطرفين وتبعدهما عن بعضهما ، الا اذا استطاع الطرف الذي لا ذنب له بما هو فيه . أن يحافظ دائما على وضع لا ينفر منه الطرف الاخر • والوسائل المتاحة كثيرة وكافية لتلبية الحاجة ، ومن لا يستطيع شراء الوسائل الغالية الثمن . فالماء والصابون متوافران للجميع وهو أفضل الوسائل وأهمها • أما أن تعتقد المرأة أنه ما دام قد تم الزواج ، وظهرت عارية امام زوجها فاعتناؤها بجسدها لم يعد مهما ، أو أن يعتقد الزوج كذلك ، فاعتقادهما لا مسوغ له ليس هذا فحسب ، بل ان هذا الاعتقاد هو المرحلة الاولى لصنع قنبلة موقوتة لا بد أن تنفجر . وانفجارها سيدمر علاقة قائمة كان بالامكان أن تستمر •

تشوهات لم تكن ظاهرة :

يتعرض الجسد الانساني لتشوهات مؤذية للنظر وغير مريحة من الناحية النفسية تؤثر على شخصية المصاب بها وعلى نفسيته ، وتؤثر على الطرف الاخر الذي يتعامل مع هذا الجسد المصاب •

من هذه التشوهات الاثار التي تتركها الحروق والعمل الجراحي، والحوادث التي يمكن أن يتعرض لها الانسان،فان كانت هذه التشوهات ظاهرة ، فالقبول بها وعدم القبول عائد لرغبة الطرف الاخر أو عدم رغبته • واذا كانت هذه التشوهات مستورة ، ولا يعرفها الا الاهل وقليل من الاقرباء والاصدقاء فلا بد أن تظهر هذه التشوهات اذا ما قرر صاحبها أن يتزوج • وان كان المصاب قد صارح من سيتزوجه بالتشوهات الموجودة ووافق على الرغم من وجودها فليس هناك من مشكلة . وان لم يصارحه ، وفوجيء بها بعد الزواج فردة الفعل تجاه المصاب تختلف من انسان لاخر •

وان كانت هذه التشوهات في جسد المرأة ، فأول تعبير يعبر به الرجل عن رفضه لما رآه قوله : لماذا لا تصارحيني بما هو موجود قبل الزواج ؟ فان كان هذا الرجل يمتلك القدرة العقلية ، فالقرار الذي سيأخذه قرار عقلاني سواء قرر استمرارية حياتهما الزوجية أو عدم استمراريتها • واذا لم يكن يمتلك المقدرة العقلية فالقرار الذي سيتخذه قد يكون من الصعب التنبؤ به والاحتمالات هنا كثيرة • لكن لا بد من الاشارة هنا الى أن عوامل كثيرة تلعب دورا مهما قبل اتخاذ القرار منها : الموقع الاجتماعي الذي يحتله أهل الزوجة ، المهر المعجل والمؤجل المثبت في عقد الزواج ، تدخل العامل الانساني في معالجة المشكلة من منطلق أن هذه الزوجة ما كان بامكانها منع ما حدث لها • اما اذا كانت هذه التشوهات موجودة في جسد الرجل فموقف المرأة سيكون ضعيفا اذا ما قورن بموقف الرجل • لن تعبر عن رفضها بالسرعة المتوقعة من الرجل ولن تتخذ القرارات بالسرعة التي يتخذها الرجل ، فقد تستسلم للامر الواقع وتقول بينها وبين نفسها : هذا حظي • لكن بكل تأكيد ستخبر أهلها وبخاصة امها . وسيكون لراي الاهل الدور الكبير في اتخاذ القرار • أما اذا كانت هذه الزوجة هي التي اختارت زوجها من دون موافقة أهلها فاحتمالات رضوخها للامر الواقع ستكون هي الاقوى • وعلى الرغم من كل هذا هناك عوامل كثيرة تلعب دورا مهما قبل أن تتخذ المرأة قرارها • أول ما ستفكر به هذه الزوجة أنها ستصبح مطلقة أي ستحاصر اجتماعيا ، وزواجها مرة ثانية ليس مضمونا واذا ما تم الزواج فلن يتوافر في الزوج الثاني الشروط التي كانت تبحث عنها في زواجها الاول •

وعلى الرغم من وجود العوامل التي تؤثر في اتخاذ القرار سواء كان القرار قرار الزوج أو الزوجة فالاجابات التي حصلت عليها من الذين

التقيتهم من الجنسين تمحورت حول اتجاهين أساسيين : اتجاه موافق على الاستمرار مع صاحب الجسد المصاب على شرط أن يمتلك مواصفات ايجابية تطغى على العيوب الموجودة .

واتجاه يرفض الاستمرار مهما كانت المواصفات الايجابية متوافرة من منطلق ان هذه المواصفات مهما كانت مهمة فلن تستطيع أن تصمد أمام الوضع النفسي الذي سينشأ من خلال التعامل مع الجسد المصاب. ونحن مع الاتجاه الثاني من منطلق أن تحقق اللذة الجنسية مطلب أساسي في الحياة الزوجية ، وتحقق هذه اللذة لها علاقة مهمة وأساسية بالحالة النفسية ، ووجود مثل هذه التشوهات التي تسبب الالم النفسي يعني بكل تأكيد أن الغاية من الزواج فيما يتعلق بتحقيق اللذة الجنسية غير محققة . وما دام الامر هكذا ، فالطلاق النفسي حاصل لا محالة . وان كان هناك أسباب كثيرة ــ ذكرنا بعض منها ــ تخلق الطلاق النفسي .

ثانيا : عيوب بعد الزواج :

العيوب الجسدية التي تحدثنا عنها والتي افترضنا أنها لم تكن ظاهرة لا للزوج ولا للزوجة حددناها برائحة الفم والجسد،والتشوهات التي سببتها الحروق ، والحوادث ، والعمليات الجراحية . افترضنا ذلك ونحن نعتقد أن نسبة كبيرة من الناس في مجتمعنا والمجتمعات المشابهة تعارض هذا الافتراض ، ليس هذا فحسب بل هناك نسبة كبيرة من الشباب والفتيات يرفضون الزواج ان لم يتأكدوا من خلو الجسد من مثل هذه العيوب ، وهذا مطلب لا يعارضه الا الجهلاء . ومع كل هذا هناك عيوب من الصعب التأكد من وجودها أو عدم وجودها من هذه العيوب :

أولا : الدور الذي يلعبه غشاء البكارة :

فمن يقلل من اهمية الدور الذي يلعبه غشاء البكارة عند الفتاة ، فهو يقفز فوق الواقع . ومن يرفض الحوار في أهميته وعدم أهميته فهو يفتقر للموضوعية .

ومن يعتقد أن الفتاة المحافظة على بكارتها ينطبق عليها المثل الشعبي المعروف : « ما باس تما الا اما » فهو واهم جدا . ومن يعتقد أن الفتاة التي افتقدت بكارتها فتاة لا أخلاقية فاعتقاده يفتقر للموضوعية.

النموذج الاول مطالب أن يأخذ بعين الاعتبار أن الفتاة تدرك جيدا أهمية بكارتها بالنسبة لذلك الفارس القادم الذي سيكون زوجا لها . وادراكها لاهمية بكارتها بالنسبة لغيرها ولان هذه البكارة هي الاساس في تقويمها أخلاقيا ، يجعلها في حالة استنفار دائم للمحافظة على هذه البكارة ، كي تكون هديتها الاولى لذلك الزوج القادم المجهول . ان استنفار الفتاة الدائم للمحافظة على بكارتها يعرضها لمتاعب كثيرة يسببها أولئك الشباب الذين لا يتنازلون عن الهدية الاولى التي تحتفظ بها تلك الفتاة لواحد منهم . لكن أولئك الشباب أنفسهم لا يتورعون من الحصول على هذه الهدية بكل الوسائل اللاشرعية واللاانسانية والوسائل كثيرة ومعروفة . من الشباب من يتقمص شخصية الشاب المتحرر جدا وينظر الى هذه الهدية على انها هامشية لا أهمية لها وزيادة تأكيده على هامشية هذه المسألة قد يقنع الفتاة بأن بكارتها مسألة هامشية فعلا وقناعتها الجديدة تخفق من استنفارها وبالتالي قد تستسلم لمشيئة ذلك الشاب المصاب بانفصام في شخصيته أو المتقمص شخصية غيره وتعطيه ما يريد . وبعد ان تعطيه وتطلب منه أن يتزوجها ، يتهرب منها ويقدم أسبابا واهية ويتركها فريسة لآلام

نفسية قاسية ، سببها أهمية ما افتقدته ، وافتقادها لمن كانت تعول عليه كثيرا ، وللضياع الذي تعيش فيه .

فالشاب الذي كان سببا لكل هذه الآلام النفسية يهمه كثيرا أن تكون فتاة أحلامه محتفظة ببكارتها ان لم يكن شرطه الاول ، ويتناسى فعلته مع تلك الفتاة التي قدمت له أغلى شيء عندها ، ويتناسى أن عددا كبيرا من الشباب يلعبون الدور نفسه ، ولا يسمح لنفسه أن يفكر أن فتاة أحلامه التي وجد انها محتفظة ببكارتها كان لها علاقة مع هؤلاء الشباب وأعطت له كل شيء باستثناء تلك الهدية التي لم تفرط بها . ومن المحتمل أن تكون فتاة احلامه قد أعطت ذلك الشاب وبوسيلة معينة جعلته يقتنع بأن الهدية ليست مزورة .

من هذا العرض ننتقل لقناعات الزوج الثاني لنقول ما يقوله أي شاب مخادع لفتاة يريد خداعها وما يقوله أي انسان يمتلك الحدود الدنيا من الوعي : هل من المعقول أن نجعل من بكارة الفتاة مقياسا أساسيا ونحكم عليها أنها فتاة أخلاقية ان كانت محتفظة ببكارتها وانها غير أخلاقية ان لم تكن محتفظة بها ؟

الرأي السائدحول أهمية بكارة الفتاة ولـّـد أساليب كثيرة تستعملها النساء لخداع الرجال وبخاصة الفتيات وجميع هذه الاساليب أصبحت مكشوفة ومعروفة ، وعلى الرغم من كل ذلك ما تزال تؤدي وظيفتها . من هذه الاساليب :

العمل الجراحي :

المجتمع يفرض الكبت الجنسي على الفتاة ، وهي تفرضه على نفسها ضمانا لمستقبلها مع الرجل الشرقي الذي يفضل الفتاة العذراء ،

والشاب الشرقي بحاجة للاستمتاع باللذة الجنسية مثل كل شباب الدنيا ، والفتاة ايضا ،وبضغط من هذه الحاجة يبحث الشاب عن الاستمتاع وتبحث الفتاة ايضا وهذا البحث يعني أن بكارة الفتاة معرضة للخطر وما دامت هكذا ، تحاول الفتاة التوفيق بين الاحتفاظ ببكارتها ، والاستمتاع باللذة الجنسية أو الاقتراب من الاستمتاع بها. بيد أن هذه المحاولة كثيرا ما تفشل وتفقد الفتاة بكارتها ، ونتيجة لذلك لا تبقى أمام الفتاة الا وسائل التزوير لتحقيق رغبة ذلك الزوج القادم. ومن هذه الوسائل المعروفة العمل الجراحي الذي يعيد للفتاة بكارتها المفقودة .

أساليب أخرى :

من المؤكد أن العمل الجراحي لاعادة البكارة غير مؤمن لكل الفتيات وبالتالي لا بد من التفكير بوسائل أخرى . وهذه الوسائل كثيرة ومعروفة لا داعي لذكرها.فان نجحت احدى هذه الوسائل،واطمأن ذلك الزوج المجهول لاخلاقية زوجته ، ارتاحت تلك الفتاة المخدوعة بعد أن استطاعت أن تمارس نفس الاسلوب الذي مورس عليها ، وان لم تنجح تنتظر قرار الزوج ، فاماأن يطلقها واما أن يستمر معها . فان طلقها بقيت بانتظار من يوافق أن يتزوج مطلقة . وان وافق أن يستمر معها جعل من بكارتها المفقودة ورقة رابحة يستعملها في أي وقت يريد .

أما اذا كان واعيا ومتحررا من أوهام العادات والتقاليد ومتأكدا من حسن سلوك زوجته والتزامها الواعي فلا يعطي هذه المسألة أية أهمية ، لان الاخلاق والالتزام والشرف ليس مرهونا بغشاء بكارة أزيل نتيجة هفوة أو لحظة ضعف أو حادثة أو أن هذا الغشاء كان موجودا فعلا ومن نوع مطاطي لا يزال الا بالولادة أو بعمل جراحي .

أخيرا نقول : اذا كان الشاب الشرقي يهمه كثيرا احتفاظ فتاة أحلامه ببكارتها ، فهناك الشاب الذي لا يرتاح للفتاة التي ما تزال محتفظة ببكارتها • وبكل الاحوال فان هذه المسألة لم تعد مهمة ، لان الجميع يدركون « أن فتاة لم يقبل فمها الا امها » لم تعد موجودة في الدنيا ، الا اذا كانت من دون فم • واذا احتكمنا للعقل والمنطق فاننا يجب أن نقتنع أن الغريزة الجنسية حاجة انسانية مثل الطعام والماء والجميع يبحثون عن تأمينها • وان كانوا يتفاوتون في البحث • وهذه حقيقة موجودة داخل كل التجمعات البشرية سواء ظهرت أم لم تظهر ، وممارسة الكبت يؤججها ويزيد من ممارستها • والذين يهمهم ممارسة الكبت يجب أن يدركوا أن أي فرصة تتاح للفتاة تعطي خلالها ما تعطيه فتاة متحررة من الكبت بعشرات الفرص ، لان الفتاة المتحررة والواعية تحكم عقلها وعاطفتها حيال ممارسة هذه الحاجة أو عدم ممارستها • وان مارست هذه الحاجة فقد مارستها بقناعتها • أما الفتاة المكبوتة ، فهي تمارس هذه الحاجة بضغط غريزتها وعاطفتها فقط ، لان الفرص التي تتاح لها نادرة وبالتالي لن تترك هذه الفرصة تمر من دون أن تستغلها • بينما الفتاة المتحررة الفرص مفتوحة أمامها وغير خائفة من أحد ومن هذا المنطلق تحترم انسانيتها وقناعاتها ومشاعرها وعواطفها وترفض أن يكون جسدها مجرد وسيلة للمتعة •

• ثانياً ـ الضعف الجنسي والدور الذي يلعبه في الطلاق النفسي

من المسلم به أن الشاب والفتاة . المرأة والرجل بحاجة للاستمتاع باللذة الجنسية ، وقد أجاز ذلك الشرع والقانون والعرف الاجتماعي ولكي تضبط الحياة الاجتماعية وتنفصل هذه الاسرة عن تلك وتحدد أبوة هذا الولد وأبوة تلك البنت حدد الشرع الماء وقوننة السلطات الاجتماعية . ووفق هذا التحديد وتلك القوننة على الشاب والفتاة أن ينتظرا قرار الاهل وقرار المحكمة الشرعية ليكون استمتاعهما باللذة الجنسية شرعيا . واذا خالفا قرار الاهل ، أو قرارات المحكمة الشرعية فهما معرضان لعقوبات اجتماعية وعقوبات حكومية .

اما ما يتعلق بالزوجة فهي مطالبة أن تلتزم بزوجها وأن يكون زوجها هو الرجل الوحيد الذي يحقق لها المتعة الجنسية . وعلى الزوج أن يلتزم بزوجته وأن تكون المرأة الوحيدة التي تحقق له الاستمتاع الجنسي .

اذا استثنينا العلاقة التي تقوم بين الشاب والفتاة ، وناقشنا العلاقة الجنسية بين الزوج والزوجة ، فهل ما هو مقرر بالشرع والقانون منفذ على أرض الواقع ؟

بكل بساطة نجيب لا . وتتساءل في الوقت نفسه عن الاسباب ؟ وبالتأكيد ستكون الاجابات كثيرة ومتباينة . الازواج والزوجات ، منهم من يقول : ان تدخل الاهل في اختيار الزوجة للزوج ، والزوج للزوجة هو السبب ، ومنهم من يقول : ان التباين في التربية هو السبب ومنهم من يقول : ان الضعف الجنسي من طرف واحد هو السبب .

وما دمنا نناقش الدور الذي يلعبه الضعف الجنسي في الطلاق النفسي ، تراودنا الاسئلة التالية :

ما هي أسباب الضعف الجنسي ؟ هل هي ناتجة عن وضع صحي ؟ أم سببها علاقات جنسية قبل الزواج ؟ أم ترف جنسي بعد الزواج ؟ أم سرعة بالقذف عند الرجل ، أم برود جنسي عند المرأة أو العكس • أم أن العلاقة الجنسية الدائمة بين امرأة ورجل تسبب فتور في هذه العلاقة؟ أم أن المرأة بعد أن تنجب عدة أطفال تصبح غير مرغوبة من الناحية الجنسية ؟ أم ان مشاكل الحياة وتربية الاطفال هي السبب ؟

لقد أجبنا عن العديد من هذه الاسئلة المطروحة ، ونكمل الاجابة بالقول أن كل هذه الاسبا بـ مجتمعة تخلق ما يسمى الضعف الجنسي ، لكن أهم هذه الاسباب هي :

• العلاقة الجنسية الدائمة بين المرأة والرجل

مصطلحات اجتماعية متداولة التدقيق فيها يوجه الباحث باتجاه رؤية أقرب للشمولية والموضوعية في تحديد الاسباب التي تولد الضعف الجنسي ، ومن أهم هذه المصطلحات المعروفة :

١ ـ شهر العسل

العسل أكلة مفضلة ، وليست متاحة للجميع ، وممارسة الجنس متعة مفضلة لكنها ليست متاحة للجميع أيضا • من هذا المنطلق أطلق على الشهر الاول من الزواج تسمية « شهر العسل » ، لان الزوج والزوجة لم يستمتعا باللذة الجنسية من قبل ، ومن حقهما أن يستمتعا

بهذه اللذة شهرا كاملا • وكان هذه المدة التي حددت بثلاثين يوما كافية للوصول الى مرحلة الاشباع • واذا لم يكن الامر هكذا فلماذا لم يطلق على الحياة الزوجية حياة العسل •

بكل الاحوال لو كان لنا شرف المشاركة في تسمية الشهر الاول من الزواج « شهر العسل » لاخترنا شهر شباط على الاقل ، لاننا نعتقد أن أي نوع من أنواع الطعام مهما كان مفضلا ، حتى لو كان عسلا لن يتناوله الانسان شهرا كاملا الا اذا كان مرغما على ذلك •

نفترض أن الاكلة المفضلة لانسان ما هي البطاطا ، مرة يأكلها مشوية • ومرة مقلية • ومرة مطبوخة • ومرة مسلوقة ، ثم يعيد الكرة من جديد • وأخيرا هل تبقى البطاطا هي الاكلة المفضلة لهذا الانسان ؟

بالتأكيد العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة لا يمكن مقارنتها بأكلة مفضلة مثل البطاطا ، لان الرجل والمرأة يمكن أن يمتنعا عن ممارسة الجنس يوما او يومين أو ثلاثة وبعد ذلك يصبح عندهما رغبة وحاجة معا لممارسة الجنس ، ويستمتعان بهذه الممارسة كما يستمتع المحب للبطاطا بأكلها المرة الاولى • لكن الانسان لا يستطيع أن يمتنع عن الاكل كما يستطيع أن يمتنع عن ممارسة الجنس ، ولو كان الامر كذلك لانقرض النوع البشري • ومع كل هذا لا الرجل ولا المرأة ولا الشاب ولا الفتاة يستطيعون المستغناء عن الاستمتاع باللذة الجنسية •

نفترض أن رجلا وضع في جزيرة خالية من النساء ، هل يعيش حياته دون الاستمتاع باللذة الجنسية ؟ بالتأكيد لا بد وأن يستمتع هذا الرجل باللذة الجنسية ، واذا لم يستعمل العادة السرية ستضغط عليه هذه الحاجة ويستمتع بها وهو نائم • وما ينطبق على الرجل ينطبق على المرأة وما ينطبق على الشاب ينطبق على الفتاة •

نخلص للقول ان القناعة بالعلاقة الجنسية الدائمة بين رجل وامرأة تخلق الرغبة الدائمة في الاستمتاع باللذة الجنسية اذا ما توافرت شروط هذه الرغبة • ومن أهم هذه الشروط : أن يكون تعامل الرجل مع المرأة تعامل ذات مع ذات، لا أن يحاول أحدهما تحويل ذات الاخر الى موضوع لخدمة ذاته ، بمعنى أن أنانية الرجل الذي يعتبر أن المرأة وسيلة لتحقيق متعته الجنسية وتأمين متطلباته الاخرى دون أن يلتزم بتحقيق ما يرغب أن يحقق له ، وكل رجل هكذا نقول عنه أنه يسعى لتحويل الذات الاخرى ــ زوجته ــ الى موضوع لخدمة ذاته • وكل امرأة تسلك هذا السلوك نقول عنها أنها تسعى لتحويل زوجها الى مادة تخدم ذاتها • وأي علاقة بين زوج وزوجة فيها مثل هذه الانانية لا بد وأن تكون مدمرة من الناحية الجنسية والانسانية ، وأي علاقة من هذا النوع نستطيع أن نحكم عليها بما يسمى بالضعف الجنسي ، لكن هذا الضعف سببه هذه الانانية ، ولو لم تكن هذه الانانية موجودة لتحول هذا الضعف الى قوة •

ومن الشروط المهمة أيضا الاعتناء بالذات ، وهنا نقصد الشكل والمضمون معا •

الزوج ينهي شهر العسل ويحدث انقلابا كاملا في تعامله مع زوجته لم يعد يهتم بمظهره كما كان يهتم به قبل الزواج وأثناء شهر العسل ، يحول اندفاعه نحو زوجته الى قرارات وأوامر ، فمطلوب من الزوجة أن تنفذها دون أن تعترض ، واذا ما اعترضت فهي معرضة للعقوبة ، والعقوبة هنا تأخذ أشكالا متعددة ، حيث يسهر خارج البيت وينام بعيدا عن زوجته ، ويمتنع عن ممارسة الجنس معها ، واذا مارس الجنس فيكون بسبب ضغط من غريزته • الكلام الجميل الذي كان

يقوله لها قبل الزواج وأثناء شهر العسل ينتهي ويبدله بكلام معاكس ٠ الزوجة تصاب بخيبة الامل وينتابها القلق الدائم ، ويتحول هذا القلق الى حالة نفسية تبعدها عن الاستمتاع باللذة الجنسية فيتهمها زوجها بالبرود الجنسي ، ويتناسى ان زوجته أثناء شهر العسل لم تكن باردة جنسيا ، وبدلا من أن يحاول حل أي اشكال قد يظهر من خلال علاقته بزوجته بالحوار الديمقراطي الهادىء ، يترك هذا الاشكال قائما ، ليولد هذا الاشكال اشكالات أخرى ، وتبدأ هذه الاشكالات تتراكم الى أن تصبح علاقتهما مع بعضهما علاقة مفروضة ، وتتحول علاقتهما الجنسية من علاقة محكومة بالرغبة والاندفاع الى علاقة محكومة بواجب يجب أن يؤديه الرجل كي لا تنحرف زوجته وتتجه باتجاه اقامة علاقة جنسية مع غيره ٠

والزوجة بعد أن ينتهي شهر العسل لم يعد يهمها الاعتناء بمظهرها من منطلق أن زوجها لم يعد غريبا ، وبالتالي فالوقت الذي كانت تستهلكه كي يبقى شكلها ومظهرها أنيقا ومريحا ، تستهلكه في نظافة وترتيب البيت وتضييع الوقت مع الجارة ٠ واذا ما عبر لها عن رغبته بأن الاهتمام بأناقتها ومظهرها بنفسها يريحه جدا ، وتجعل اندفاعه تجاهها دائما ، قد تنزعج منه وتقول له : أنت مللت مني أو تعرفت على غيري ، أو لم أعد اعجبك ٠ هذا شكلي لم يتغير والذي تغير هو أنت ، وأنا غير مستعدة أن أبقى في حالة استنفار من اجل تحقيق رغبتك ٠

قد يستوعب الزوج هذا الموقف ويعتقد أنها مرهقة أو منزعجة من أمر ما . أو ليست في حالة صحية جيدة ٠٠ الخ ٠ لكن تكرار مثل هذا الموقف لا بد وان يسبب له ازعاجا ، وهذا الازعاج لا بد وان يؤثر على علاقته الجنسية مع زوجته ، واذا ما أظهر بعد حين عدم رغبته في

ممارسة الجنس قد تقودها أوهامها الى التفكير بأن زوجها له علاقة مع غيرها ، أو أنه مصاب بضعف جنسي . وهكذا بدلا من أن تحاول ارضاء رغبة زوجها ، تدفعه بعيدا عنها ، ليس هذا فحسب بل تزداد ضبابتها وأوامرها ومحاصرة زوجها ، فاذا غاب عن البيت لانجاز عمل ضروري ، تقول له أين كنت ؟ وان خرجا معا وصدف أن أظهر اعجابه بأناقة امرأة ما أو حديثها ، وهو لا يقصد من ذلك الا جذب انتباه زوجته لتستوعب ما يحب في المرأة وتحذو حذوها ، يجن جنون زوجته، واذا تمالكت أعصابها أثناء الجلسة لن تتمالكها بعد أن تعود للبيت ، وستجعله يدفع الثمن غاليا جزاء فعله البريء دون أن تدرك أنهاتشاركه دفع الثمن الذي دفعه .

٢ ــ أخوة اللحم

الاسباب التي ذكرناها اذا ما استمرت تحول العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة من حاجة وغاية الى واجب انساني خال من الرغبة ، ومن هذا المنطلق نسمع المصطلح المتداول (تخاوى اللحم) نسمعه من الرجال والنساء على حد سواء ، ونسمعه حين يظهر الرجل رغبته في اقامة علاقة جنسية مع غير زوجته ، ونسمعه حين يدافع الرجل عن نفسه بعد أن تكتشف علاقة له ، ويقول هذا الكلام لعشيقته وقصده من كل قوله هذا : أنه لو كان مرتاحا مع زوجته لما سلك هذا السلوك ، ويريد في الوقت نفسه أن يثبت للاخرين أنه انسان سوي ومظلوم . ومع كل هذا يدرك أنه يكذب على نفسه وعلى الاخرين . ويدرك أيضا أنه يحقق بفعله اللامشروع ــ من وجهة نظر المجتمع ــ دوافعه وبواعثه وما نسمعه من الرجل تحاول المرأة أن تكبته ، واذا ما أظهرته تظهره لاشخاص مقربين جدا ، وان كانت تعبر عنه بسلوكها وعلاقاتها .

٣ ـ الممنوع مرغوب

الاسباب التي خلقت فتورا في العلاقة الجنسية بين المرأة والرجل وتحولت من رغبة وحاجة الى واجب انساني ، يؤديانه تجاه بعضهما من منطلق خوف كل طرف أن ينحرف الطرف الاخر ويقيم علاقات غير مشروعة ، وبالتالي يدمر ما تبقى من حياتهما الزوجية ، والفتور في العلاقة الجنسية بين المرأة والرجل ولذا المصطلح المتداول (اخوة اللحم) ومصطلح (اخوة اللحم) معبر تماما عن تدمير العلاقة الداخلية بين الزوج والزوجة ، وهذه العلاقة المدمرة ولدت بواعث ودوافع ورغبة وحاجة لدى الزوج والزوجة باقامة علاقات لا شرعية ، والمعروفة بالخيانة الزوجية • النساء تتهمن الرجال والرجال يتهمون النساء • وكأن الرجال يقيمون علاقات مع بعضهم ، والنساء يقمن العلاقات مع بعضهن • ونرد على هذه الاتهامات بالقول : ان العلاقات اللامشروعة ان كانت طبيعية فهي بين الرجال والنساء ، واذا وجدت علاقات لا مشروعة ولا طبيعية أي علاقة جنسية بين رجل ورجل (لواط) أو علاقة جنسية بين امرأة وامرأة (سحاق) فتلك علاقات شاذة ومنحرفة ولا تشكل قاعدة ، وقد يكون سببها الكبت الذي يمارسه المجتمع على الرجال والنساء •

٤ ـ ماهية الضعف الجنسي

كل الاسباب التي ذكرناها تخلق الضعف الجنسي عند المرأة والرجل ، لكن التسمية هنا تفتقر للموضوعية • المرأة التي تتهم زوجها بالضعف الجنسي لا توافق عليه تلك المرأة المجهولة التي بينه وبينها علاقة جنسية ، والزوج الذي يتهم زوجته بالبرود الجنسي تدافع عن نفسها وتقول أن زوجها هو السبب ، وقد يكون هو السبب فعلا ،

يكون هو السبب اذا لم تكن مقتنعة به بالاساس ، ويكون هو السبب اذا كان سلوكه في البيت مزعجا ، ويكون هو السبب اذا لم يكن يحترم انسانيتها ، وقد تكون هي السبب اذا ما كان لها علاقة لاشرعية مع غيره .

للضعف الجنسي أسبابه الصحية ، وقد كتب حول هذه الاسباب الكثيرون ، ونحن لسنا معنيين بها لانها ليست في مجال اختصاصنا أولا ولانها ليست موضوع بحثنا ثانيا وأساسا .

وما يهمنا التأكيد عليه هو أن تأثير العوامل النفسية على العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة أكثر بكثير من تأثير العوامل الصحية . والاسباب التي تولد الطلاق النفسي بين المرأة والرجل أسباب نفسية أكثر مما هي أسباب ناتجة عن الضعف الجنسي ، والرجل الذي يبدو ضعيفا تجاه زوجته من الناحية الجنسية قد يبدو قويا تجاه غيرها اذا ما توفر عامل الارتياح بينهما . والمرأة التي يتهمها زوجها بالبرود الجنسي يفتقر للدليل على صحة الاتهام الذي يوجهه . ومن خلال هذه الرؤية نقول : ان التسميات الشائعة ، اللون الاسمر من الرجال والنساء يمتلكون مقدرة جنسية أكثر من أصحاب اللون الاشقر ، تسميات تفتقر للموضوعية ، والمصطلح الطبي القائل بسرعة القذف عند الرجال سببه نفسي أكثر مما هو صحي ، ونوضح ذلك بالمثال التالي :

زوجة تشكي زوجها أنه ما ان تبدأ ممارستهما الجنسية حتى يصل الى الاستمتاع باللذة الجنسية ويتركها دون أن تستمتع هي باللذة الجنسية أيضا . ونقول لهذه الزوجة ناقشي الاسباب في وقتها قبل اصدار الحكم ، هل تعانين من وضع نفسي ما ؟ هل تعانين من وضع

صحي ما ؟ هل أنت مقتنعة بزوجك ؟ هل ما زلت مشدودة الى علاقة كانت قائمة بينك وبين انسان ما ؟ هل لك علاقة مع غير زوجك ؟ هل في زوجك مايعيبه من الناحية الجسدية أو الجنسية غير سرعة القذف ؟ واذا لم تكن هذه الاسباب موجودة نوافق على ما تقولينه ، واذا كان يوجد فيك أو في زوجك مثل هذه العيوب فحري بك معالجة الاسباب قبل اصدار الحكم ، فان لم تستطيعي معالجتها فلا تصدري مثل هذا الحكم • وان استطعت فالطب هو المعني بالمعالجة • واذا فشل الطب فاما أن تقتنعي بما هو موجود ، وما أن ترفضيه ، والمحكمة الشرعية ستحكم لصالحك لانك تمتلكين الدليل المقنع •

وانت أيها الزوج اسأل نفسك الاسئلة نفسها ان كنت تتهم زوجتك بالبرود الجنسي أو العجز الجنسي ، فان كنت أنت السبب فالحق ليس على زوجتك ، وان كانت العلة في زوجتك فعلا فالقرار قرارك ولا داع للشكوى •

• ثالثا ـ الصفات الخلقية

تحدثنا عن نقاط عديدة تتعلق بالصفات الخلقية وبينا تأثيرها على الحب الزوجية ، لكن هناك نقاط عديدة أخرى لها التأثير نفسه على الحياة الزوجية . وهذه النقاط نصفها بصفات خُلقية مطلوب توافرها في الزوج والزوجة ، وأخرى معاكسة اذا ما توافرت فهي كافية لوحدها أن تدمر العلاقة الداخلية بين الزوج والزوجة ، وتؤدي الى الطلاق النفسي والشرعي • والرؤية التي نعرضها هنا رؤية عربية كانت سائدة قبل الاسلام وبعده • وما تزال تلعب دورا مهما في حياة الاسرة العربية واختيار تكونها • ويروى عن النبي محمد (ص) قوله تنكح المرأة

لاربع : لمالها ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك وذات الدين هي المرأة الصالحة ، ذات الخلق الكريم ، يزينها أدب وحياء ، ويحيلها فهم وذكاء . وتخير مثل هذه المرأة يعد أجمل احسان الادب لاولاده الذين أنجبتهم ، وبها يمن عليهم . وفي ذلـك يقول أب لبنيـه :

وأول احسانـــي اليكـم تخـيري
لماجـــدة الاعـراق باد عفافهـــا

وكان العرب ينظرون الى الام والاب ، اذا خطبوا امرأة ، ويقولون انها تجر بأحدهما ، فان المرأة غالبا ما تلد على مثالها ، زينا أو شينا . وكان من عادة العرب أن البنت اذا نبتت في بيت كريم أن تخلـو الام بابنتها قبل تحولها الى بيت زوجها وتبين لها ما ينبغي أن تكون عليـه من خلق في معاملة زوجها . من ذلك أن عمرو بن حجر الكندي لمـا خطب ابنة عوف بن محلم الشيباني ، خلت بها أمها قبل أن تزف اليه وقالت لها : (أي بنية ، أنت فارقت بيتك الذي خرجت منه ، وعشك الذي درجت فيه الى رجل لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فكوني له أمة يكن لك عبدا ، واحفظي له خصالا عشرا يكن لك ذخرا : أما الاولى والثانية فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة . واما الثالثة والرابعة فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا رائحة طيب . وأما الخامسة والسادسة ، فالتفقد لوقت نومه وطعامه ، فان تواتر الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة . وأما السابعة والثامنة فالاحتراس بماله والارعاء على حشمه وعياله ، وملاك الامر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن التدبير . وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا ، فانك ان خالفت أمره أوغرت صدره ، وان أفشيت سره لم تأمني غدره . ثم اياك والفرح بين

يديه اذا كان مهتما ، والكآبة بين يديه ان كان فرحا)[1] . فهذه هي أخلاق المرأة العربية المرغوبة ، فاذا ما اقترن هذا الخلق بجمال المرأة فهي المرأة الكاملة . ومثلها يندر في النساء .

والى جانب المرأة المهذبة الطيعة ، توجد المرأة الذئرة المعاندة ، وقد جمع أعرابي وصفها حين سئل عنها فقال : (سليطة اللسان ، كأن لسانها حربة . كلامها وعيد ، وصوتها شديد . تدفن الحسنات وتفشي السيئات . تعين الزمان على بعلها ، ولا تعين بعلها على الزمان . ليس في قلبها له رأفة . ولا عليها منه مخافة ، ان دخل خرجت . وان خرج دخلت وان ضحك بكت . وان بكى ضحكت . ان طلقها كانت له حريبة ، وان أمسكها كانت عليه مصيبة . سعفاء ورهاء[2] . كثيرة الدعاء قليلة الارعاء ، تأكل لما[3] وتوسع ذما . صخوب غضوب ، بذية دنية ليس تطفأ نارها ، ولا يهدأ اعصارها . ضيقة الباع ، مهتوكة القناع . صبيها مهزول ، وبيتها مزبول[4] ، اذا حدثت تشير بالاصابع ، وتبكي في المجامع . بادية من حجابها ، نباحة على بابها . تبكي وهي ظالمة ، وتشهد وهي غائبة . قد ذل لسانها بالزور ، وسال دمعها بالفجور)[5] . فهذه المرأة مهما بلغت من علو النسب وروعة الجمال ، لا يهنأ معها عيش ، ولا يسود البيت الزوجي صفاء ووئام ، ومثلها مثل تلك الزوجة التي سئل عنها زوجها فقال :

يقولون في البيت لي نعجة
وفي البيت لو يعلمون النمر[6]

---

١ ــ العقد الفريد ٦/٨٣ ــ ٨٤
٢ ــ سعفاء ورهاء : حمقاء ، خرقاء ، لا تحسن عملا
٣ ــ تأكل لما : أي تلقم الطعام فتأتي عليه
٤ ــ مزبول : قذر
٥ ــ العقد الفريد ٦/١١٢
٦ ــ كتاب المردفات من قريش للمدائني ص ٧٨ ، الاغاني ٢١/١١٤
(من نوادر المخطوطات)

ومع ذلك فقد يكون جمال الزوجة ، عند بعض الأزواج شفيعا لسوء خلقها ، فيحتمله الزوج ويصبر عليه شغفا بها . فقد روي أن في نساء بني تميم جمالا ، وكانت لهن حظوة عند أزواجهن على سوء خلقهن ، ومنهن أم اسحق بنت طلحة بن عبد الله التيمي ، فقد تزوجت الحسن بن علي بن أبي طالب ، وكانت ربما حملت وولدت وهي مصارمة له لا تكلمه[1] . ومثلها أختها عائشة بنت طلحة ، وكانت رائعة الجمال كأمثالها من بنات قومها ، فقد تزوجها مصعب بن الزبير ، وأتاها في يوم وهي نائمة متصبحة[2] ومعه ثماني حبات لؤلؤ قيمتها عشرون ألف دينار . فنثر اللؤلؤ في حجرها ، فقالت : نومتي كانت أحب الي من هذا اللؤلؤ[3] . ومثل هاتين ابنة اخيهما أم سلمة بنت محمد بن طلحة التيمي ، فقد تزوجت عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب وكانت تقسو عليه قسوة عظيمة ، وتغلظ له ، وكان يفرق منها ولا يخالفها ، فرأى يوما منها طيب نفس ، فأراد أن يشكو اليها قسوتها ، فقال لها : يا بنت محمد قد أحرق قلبي والله ... وقبل أن يتم كلامه ، حددت فيه نظرها ، وجمعت وجهها وقالت له : أحرق قلبك ماذا ؟ فخافها فلم يقدر على أن يقول لها : سوء خلقك ، فقال لها حب أبي بكر الصديق ، فأمسكت عنه[4] .

١ ـ اشياء والنظائر ٢٩٢/٢

٢ ـ كتاب المردفات من قريش : المصدر التقدم ص ٧٧ (من نوادر المخطوطات)

٣ ـ الاغاني ١١٤/٢١

٤ ـ المردفات من قريش : المصدر المتقدم

على أن مثل هذا الخلق انما كان من قبيل الذل المعتصم بالجمال، فان استذل له الزوج أمعنت الزوجة فيه وطغت • وقد كان من الامهات من تعلم بناتها اختبار الازواج ، فكانت الام تقول لابنتها : اختبري زوجك قبل الاقدام عليه ، فانزعي زج رمحه ، فان سكت فاقلعي سنانه (١) ، فان سكت فقطعي اللحم على ترسه ، فان سكت فكسري العظام بسيفه ، فان سكت فاجعلي الإكاف على ظهره وامتطيه ، فانما هو حمارك (٢) •

وقد وضع العرب لمثل هؤلاء النسوة أسماء ابتدعوها من وحشي الكلام مثل : العقنفير ، العنجرد ، الحجرش ، الجردحلة ، الدقنس ، الطعثنة ، الجعماء ، الجلفريز ، الجلنفعة (٣) ، وغيرها من الاسماء التي تدل على المرأة الحمقاء ، البلهاء ، الهوجاء ، السليطة اللسان ، البذيئة القول ، وبالجملة سيئة الخلق •

وفي الحق ، ان من النساء من يصح فيهن قول الشاعر :

ان النساء رياحين خلقن لنا
وكلنا يشتهي شم الرياحين

ومنهن من يصح فيهن قول الشاعر :

ان النسا شياطين خلقن لنا
نعوذ بالله من شر الشياطين

والنساء ليسوا سواء :

---

١ ــ السنان : سهام الرمح
٢ ــ عيون الاخبار ٤/٦ • احياء علوم الدين للغزالي ٢/٤٥
٣ ــ راجع لسان العرب وتاريخ العروس : عنقف • عنجر • حجرش جردح • دقس • طعث • جعم • جلنفز ، جلنفع

فمنهن جنات يفيء ظلالها
ومنهن نيران لهن وقود

أما الصفات الممدوحة في الرجل ، فهي في الجاهلية : الكرم والشجاعة والحلم ، وقد عبرت عن هذه الصفات امرأة بني زياد بن الحارث فقالت :

فلا تأمرني بالتزوج انني
أريد كرام القول أو أتبتل
أريد فتى لا يملأ الهول صدره
يريح عليه حلمه حين يجهل[1]

وعبرت عنه امرأة من باهلة فقالت :

أحب الفتى ينفي الفواحش سمعه
كأن به عن كل فاحشة وقرا
سليم دواعي الصدر لا باسطا أذى
ولا مانعا خيرا ولا قائلا هجرا[2]

وفي الاسلام أضيفت الى هذه الصفات الدين والعقل ، وجعلت هي الاساس . فالزوج التقي العاقل ان أحب زوجته أكرمها ، وان أبغضها لا يظلمها . وقد قيل للحسن بن علي : فلان خطب الينا فلانة ، قال : أموسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم . قال : فزوجوه . والعاقل المقل من مال خير من غني مقل من عقل ، فقد روى الاصمعي أن رجلين

---

١ ــ الهول : الخوف والذعر
٢ ــ الحيوان للجاحظ ١٦٣/٧

خطبا ابنة . وكان أحدهما مقلا من مال ، ولكنه عاقل ، والاخر من مال ولكنه أحمق ، فشاور أبوها رجلا يقال له أبو زيد ، فقال له ، لا تزوج الا عاقلا دينا ، فان لم يكرمها لا يظلمها ، ثم شاور رجلا يقال له أبو العلاء ، فقال له : زوجها لمكثر من مال ، فان ماله لها ، وحمقه على نفسه ، فزوجه فاتي منه ما يكره في نفسه وفي ابنته ، فقال :

ألهفي اذا عصيت أبا يزيد
ولهفي اذ أطعت أبا علاء
وكانت هفوة من غير ربح
وكانت زلقة من غير ماء (١)

والعرب تقول الازواج ثلاثة : زوج مهر ، وزوج بهر ، وزوج دهر . فأما زوج مهر ، فرجل لا شرف له ، يسني المهر ليرغب فيه . أما زوج بهر ، فرجل شريف ولكنه قليل المال ، تتزوجه المرأة لتفخر به. وأما زوج دهر ، فهو الرجل الكفء للمرأة ، تتزوجه لتعيش معه الدهر (٢).

وكان الاصمعي يقول : النساء أربع :

فمنهن معمع ، لها شيئها أجمع (٣)

ومنهن صدع ، تفرق ولا تجمع

ومنهن تبع ، تضر ولا تنفع

١ ــ العقد الفريد : ٦/١٠٠ ــ ١٠١
٢ ــ لسان العرب : بهر
٣ ــ المعمع : المرأة المستبدة بمالها لا تواسي زوجها منه (لسان العرب : معمع).

ومنهن غيث وقع ببلد فأمرع [1]

ونقل صاحب الامالي قول شيخ من بني العنبر ، قال : النساء ثلاث ، والرجال ثلاثة . فالنساء منهن : هينة لينة ، عفيفة مسلمة ، تعين أهلها على العيش ، ولا تعين العيش على أهلها .

وأخرى وعاء للولد ، وأخرى غل قمل ، يضعه الله في عنق من يشاء .

والرجال منهم : لين عفيف مسلم ، يصدرّ الامور مصادرها ، ويورد مواردها .

وآخر ينتهي الى رأي ذي اللب والمقدرة . فيؤخذ بقوله . وينتهي الى أمره . وآخر حائر بائر . لا يأتمر لرشد . ولا يطيع المرشد [2] .

نستنتج من الرؤية العربية التي كانت سائدة في الحياة العربية قبل الاسلام وبعده أن الصفات الخُلقية المطلوب توافرها في الزوجة الصالحة هي :

١ ــ أن تسمع كلام زوجها وتطيعه .

٢ ــ أن تهتم بجسدها ورائحته .

٣ ــ المحافظة على شرف الزوج وماله .

٤ ــ عدم البوح بأسرار زوجها .

٥ ــ مشاركة زوجها بأفراحه وأحزانه .

---

١ ــ ذيل الامالي والنوادر للقالي ص ١٢٦

٢ ــ الامالي للقالي ٢/١٥٠

توافر هذه الصفات الخلقية في الزوجة مطلب كل زوج يهمه بناء أسرة سعيدة وحياة زوجية هادئة ، لكن توافر هذه الصفات الخلقية في الزوجة وعدم توافرها في الزوج يعني أن حياة الزوجة لن تكون بعيدة عن القلق وعدم الاستقرار .

الرؤية العربية طالبت أن يتوافر في الزوج الصالح العقل والدين وعلى الرغم من أهمية الصفة الاولى لكنها ليست كافية لجعل الحياة الزوجية حياة مستقرة ، فالفلاسفة وعلماء الاجتماع ميزوا الانسان عن الحيوان بالعقل وسموا الانسان بالحيوان العاقل ، لكن كلمة عاقل هنا تختلف من انسان لآخر .

وحول أهمية الصفة الثانية (التدين) كان الخلاف بين الفلاسفة منهم من اعتبرها صفة خلقية يجب أن يتحلى بها ذوي العقول ، ومنهم من قال أن هاتين الصفتين لا تجتمعا في انسان ومن هؤلاء الفلاسفة الفيلسوف العربي المشهور ابي العلاء المعري الذي قال :

اثنان أهل الارض :

دين لا عقل فيه .

وعاقل لا دين له .

بكل الاحوال ليس هذا مدار بحثنا ، والذي نرغب التأكيد عليه هو لماذا المرأة مطالبة بكل هذه الصفات الخلقية والرجل غير مطالب بها ؟ أليس من حق الزوجة على زوجها أن يهتم بجسده ورائحته ؟ أوليس من حق الزوجة على زوجها أن يشاركها أفراحها وأحزانها ، والاهتمام براحتها وصيانة شرفها ؟

واذا كان كل ذلك من حق الزوجة ــ وهو من حقها بكل تأكيد فكيف يمكن أن نفسر الرؤية العربية التي أهملت حق المرأة على زوجها ؟

واذا لم يكن في الرجل ما يعيبه الا اذا كان من دون عقل ، فهل من المعقول أن يستطيع فاقدو العقول بناء حياة زوجية ؟ ثم هل يستطيع فاقدو العقول ادراك الدين وأهميته ؟

وأخيرا لماذا لم تضمن الصفات الخلقية المطلوب توافرها في الزوجة صفة التدين ؟ أم أن المرأة بربع عقل كما يقال ، وبالتالي فهي غير قادرة على ادراك أهمية الدين والالتزام بالتدين ؟

الرؤية العربية غير كل ذلك لانها تعبر تماما عن النظرة الدونية للمرأة وتعبر في الوقت نفسه عن مستوى الوعي الاجتماعي الذي كان قائما ، وتعبر عن مستوى الوعي المتدني لكل من يطلب من المرأة كل هذه الصفات الخلقية ولم يطلب توافرها في الرجل ، انها صفات تشكل الاساس المتين لاستقرار الحياة الزوجية واستمراريتها بشرط أن تكون متوافرة في الزوج والزوجة .

ان المقولة التي ركزت عليها الرؤية العربية والتي نعتبرها في غاية الاهمية تلك المقولة التي فضلت الوعي على المال ، والتي قسمت الازواج الى ثلاث أصناف : زوج مهر ، وزوج بهر ، وزوج دهر ، وفضلت الصنف الثالث والتي قرأناها مصاغة على الشكل التالي : العاقل المقل من مال خير من غني مقل من عقل .

الفصل الخامس

في فلسفة الحب والزواج

- في فلسفة الحب

  - الارتيــاح
  - الاعجاب
  - الحب

- في فلسفة الزواج

  - وظيفة الزواج
  - الوظيفة الطبيعية للزواج

في فلسفة الحب والزواج

• في فلسفة الحب

الحب علاقة انسانية قائمة تنشأ بين الفرد والفرد ، والفرد والجماعة ، والجماعة والفرد ، بين الانسان والطبيعة وبين الانسان والآلة .

يحكم هذه العلاقة صلة الرحم ونسميها علاقة قربى ، ويحكم هذه العلاقة العقل توافق فيها التفكير والتوجه والارتياح ونسميها حالة انسانية مختارة . ويحكم هذه العلاقة العاطفة ونسميها علاقة طفلية وغريزية وحب البقاء . ويحكم هذه العلاقة مصلحة مادية تنتهي بانتهاء المصلحة سواء تحققت أم لم تتحقق . ونسميها علاقة اجتماعية مزورة.

والكره علاقة انسانية قائمة تنشأ بين الفرد والفرد ، والفرد والجماعة . والجماعة والفرد ، وما يحكم علاقة الحب يحكم علاقة الكره .

وما يهمنا بحثه من بين هذه العلاقات ، العلاقة الانسانيةالضرورية التي تنشأ بين الشاب والفتاة ، بين الزوج والزوجة . وقبل أن نناقش

جوهر هذه العلاقة نرى ضرورة التمييز بين مصطلحات أساسية متداخلة فيما بينهما وهي : الارتياح ، الاعجاب ، المصلحة ، الحب •

أولا ــ الارتيـاح :

حالة انسانية تنشأ بين شاب وفتاة، اما لان هذه الفتاة قد اراحها جمال هذا الشاب ، أو اناقته أو شخصيته أو تفوقه في الدراسة أو ثقافته ، الى ما هنالك من صفات ترغب الفتاة توافرها في الشاب • والتعبير عن ارتياحها له قد يقابله ارتياح الشاب لها ، أو عدم ارتياحه فان كان الارتياح متبادلا تنشأ علاقة بينهما وعلى طريق تعميقها قد تتطور لعلاقة حب حقيقية تتوج بالزواج ، وقد تبقى ضمن اطار ارتياحهما لبعضهما ومن المحتمل أن تدخل العاطفة في هذه العلاقة وتأخذ وضعها الطبيعي ، أو تتحول الى علاقة صداقة دون أن يكون للغريزة الجنسية أي دور فيها ، وقد تستمر علاقة الصداقة هذه أكثر من أي علاقة حب بين شاب وفتاة ، أو بين زوج وزوجته ، لان استمرارية أية علاقة مشروطة بتوافر شروطها الموضوعية •

والارتياح قد ينشأ من قبل طرف واحد • فمثلا ، قد يرتاح شاب لفتاة والفتاة لا تقابله الارتياح نفسه ، والعكس صحيح • والارتياح قد ينشأ بين طرفين متباعدين لا يعرفان بعضهما بعضا كأن ترتاح فتاة لشاب يبعد عنها آلاف الكيلومترات ، رأت صورته في مجلة أو على شاشة تلفزيون ، أو قرأت له نتاجا أدبيا أو فكريا ، وترفض الزواج من أي شاب لا تتوافر فيه المواصفات المتوافرة في ذلك الشاب البعيد •

هذه حالات قائمة تعرفها البشرية في جميع أماكن تواجدها ، لكن هذه الحالات لا يمكن أن نسميها علاقة حب ، ومن يسميها فهو محكوم بالعلاقة التي سميناها علاقة عاطفية تفتقر للعقل الذي يوجهها •

ثانيا ــ الاعجـاب :

الاعجاب يلتقي مع الارتياح بسمات ويختلف معه بسمات أخرى•

قد تعجبني فتاة ما لثقافتها أو لجمالها ، فيعجبني في هذه الفتاة ثقافتها ولا يعجبني سلوكها ، او يعجبني جمالها ، لكن لكي أرتاح لها يجب أن تكون مثقفة . أحيانا أظهر اعجابي بشاب سمعت عن صفاته الحسنة ، أو لانه يمارس عملا فكريا مميزا ، أو لانه قام بعمل بطولي استحق عليه التقدير والاعجاب . وتعجبني فتاة تمردت على عادات وتقاليد بالية فبرهنت أن تمردها ناتج عن وعي وادراك وحتى لو كان تمرد هذه الفتاة مرفوضا من قبل شريحة اجتماعية معينة .

من أرتاح له قد أعجب فيه وأحبه ، لكن ليس كل ما يعجبني يمكن أن أرتاح له وأحبه . الفتاة التي أظهرت اعجابي بثقافتها ، واظهرت عدم ارتياحي لسلوكها أو لجمالها ، من الصعب أن أرتاح لها وأحبها . والانسان الذي بيني وبينه عداوة قد يتصرف تصرفا فيه ايذاء لي ،لكن حنكته الواضحة من خلال تصرفه تعجبني وأرتاح لو تصرفت مثل هذا التصرف ضده ، لكن هل من المعقول أن ارتاح له لانه تصرف تصرفا فيه ذكاء وحنكة . من المؤكد لو وظف ذكاءه وحنكته على طريق انهاء العداوة بيننا ، لشكل هذا التوظيف أرضية موضوعية مهيأة للحوار ، تقود الى حسم الخلاف وانهاء العداوة القائمة .

هكذا نميز بين الارتياح والاعجاب ، وبين الحب وبينهما .وهكذا وجدنا امكانية تطور الارتياح الى اعجاب وحب . ووجدنا أيضا أن ليس كل اعجاب يمكن أن يتحول الى ارتياح أو حب بالسهولة التي يتحول بها الارتياح الى اعجاب وحب .

ثالثا ـ المصلحة :

من مصلحة الشاب أن يختار الفتاة التي يرتاح لها ويعتقد أن حياته معها ستكون سعيدة ، لكن لكي تتحقق هذه المصلحة لا بد وأن يمتلك هذا الشاب شروطا معينة . من أهم هذه الشروط ، الوضع الخلقي ، والثقافي والمادي ، والخُلقي ، لكن من الصعب توافر هذه

الشروط كلها في شاب معين .

الشاب الجميل يعرض جماله للفتاة التي يهمها الناحية الجمالية ويعتقد أنها تحقق مصلحته .

والشاب المثقف يوظف ثقافته لاستقطاب الفتاة التي يبحث عنها ، والشاب المتمتع بوضع مادي جيد يوظف وضعه المادي لاصطياد الفتاة التي تعجبه . الشاب الخلوق ملكيته اخلاقه يعرض هذه الملكية وينتظر من ستختاره .

وباعتقادنا أن الشاب المرشح للفوز في سوق العرض والطلب هذا هو الشاب الذي يتمتع بوضع مادي جيد . واذا كان الشاب المرشح للفوز هو من يتمتع بوضع مادي جيد أو بوضع جمالي أو ثقافي أو أخلاقي : فهل الفوز الذي حقق فيه مصلحته هو من حقه ؟ واذا افترضنا أن ذلك من حقه فهل هذه المصلحة وهذا الحق يعبران عن علاقة انسانية مشروعة .

نعتقد ان الاجابة عن هذه الاسئلة ليست مهمة جدا . لاننا اذا أعتبرنا أن من حق الشاب أن يعمل لتحقيق مصلحته فلا نظلم أحدا ، الا اذا كانت هذه المصلحة قد تحققت على حساب أناس آخرين . واذا ما تحققت مصلحة شاب معين ومصلحة فتاة معينة باختيارهما بعضهما بعضا لا ندري ان كان هذا هو الذي يسمونه حبا . نؤجل ابداء الرأي في هذه القضية بعد أن نعرض عدة آراء حولها .

في احدى كليات جامعة دمشق كنت ألقي محاضرة في الجانب الاجتماعي للاشتراكية العلمية ، وقلت : ان علاقات الاسرة في ظل المجتمع الرأسمالي القائم على الملكية الخاصة . تكون مشوهة وبعيدة عن العلاقات العاطفية وقائمة على المصلحة المادية الصرفة . وأن الزواج في المجتمع الرأسمالي يكون مجرد صفقة . لا نكل شيء يقوم على

حساب الربح والخسارة • أما في المجتمع الاشتراكي ، فان هذهالعلاقات تتغير وتصبح قائمة على التفاهم والحب المتبادل بعيدة عن التشويه المادي • والتربية في المجتمع الاشتراكي ، تكون بعيدة عنالتوجيهالمادي وتتجه الى ارضاء الرغبات والميول البعيدة عن الانانية وحب الذات • وبعد الانتهاء من القاء الضوء على هذا الجانب الاجتماعي طرحت سؤالا موجها للطالبات ، لو تقدم شابان لخطبة فتاة منكن متشابهان منالناحية الجمالية ، الاول مثقف ويحمل شهادة عالية ولا يملك سوى راتبه ، والثاني لم ينجح في الاعدادية لكنه يملك بيتا وسيارة ومبلغا من المال ، فأيا من هذين الشابين ستخترن ؟

وطلبت الاجابة من فتاة لا بأس بجمالها فكان جوابها : يهمني أن أعيش سعيدة ، ثقافة الشاب حاجة مهمة لكن ثقافته لن تؤمن لي السعادة . واذا افترضت أنه سيحقق حلمي المستقبلي فلن يأتي هذا المستقبل الا متأخرا ومن هذا المنطلق سأختار الشاب الغني بكل تأكيد •

فتاة ثانية متوسطة الجمال قالت : الثروة لا تحقق السعادةوالشاب الغني لم يبذل أي جهد في تأمين هذه الثروة ، وقد يفتقر للمقدرة العقلية التي تحافظ على هذه الثروة ، وبالتالي تبقى الشهادة العالية التي يحملها هذا الشاب وثقافته هي الضمانة المؤكدة لتحقيق السعادة •

فتاة ثالثة رفضت أن تختار واحد منهما من منطلق أنها لا تعرف عنهما شيئا ، ولكي تختار لا بد وأن تعرف قبل كل شيء قبل أن تختار لانها لن تتزوج لا الشهادة العلمية التي يحملها هذا المثقف ، ولن تتزوج الثروة التي يملكها ذاك الغني . ما يهمها هو انسانية الانسان الذي ستختاره ، وأن تكون معجبة به ، وترتاح له وتحبه وهذه هي شروط الاختيار •

أخيرا طلبت من جميع الفتيات ابداء الرأي حول الاراء الثلاثةبرفع الايدي وكانت النتيجة كما يلي :

سبعون بالمائة مع رأي الفتاة التـــي اختــارت الشاب الغنـــي ، وخمسون بالمئة مع رأي الفتاة التي اختارت الشاب المثقف ، وعشرون بالمئة مع الفتاة التي رفضت اختيار احدهما .

من يقف عند هذه النتيجة يراها منطقية من حيث توافقها مـــع الواقع الاجتماعي ، لان التربية في مجتمع الملكية الخاصة تنظر للحب وللزواج من منظور مادي صرف . واذا وجدنا أن خمسين بالمئة من الفتيات اخترن الشاب الذي يحمل شهادة عالية فذلك ظاهرة ايجابية جدا تدل على الوعي ، لكن ما نطمح اليه أن يتطور هذا الوعي وتصبح نسبة العشرين بالمئة هي السائدة في المجتمع لان انسانية الانسان دليل على الوعي ، والوعي دليل على الثقافة ، والانسانية والوعي والثقافةأدلة على انتفاء الاستغلال . واحترام انسانية الانسان . ووجهة النظر هذه أكدتها مجموعة من طالبات الدراسات العليا في احدى أقسام كليـة الآداب في جامعة دمشق ومما قالته احداهن أهلي وضعهم المادي جيد جدا ويهمهـم أن أتزوج شـابا غنيـا أكثـر مـا يهمهـم ثقافتـه أو الشهادة التي يحملهـا ، ولو تركـت لهم حريـة اختيـار الزوج المناسب لي ــ من وجهة نظرهم ــ لاختاروا لي الشاب الغني بكـل تأكيـد . ولو وجدوا هذا الشاب لم يتح لي فرصة الانتساب للجامعة أما بعد أن انهيت الاجازة الجامعية ، وامتلكت الوعي الذي يؤهلنـي لاختيار الزوج ، فلن أختار الا الشاب الواعي والمثقف . والذي يحمل مؤهلا علميا يعادل المؤهل العلمي الذي أحمله ، ليس لانني أحمل اجازة جامعية ، بل لانني أدرك أن الاساس المتين الذي يؤمن استمرارية الحياة الزوجية هو الوعي أولا وأساسا . والشرط الاساسي لتوافر الوعي هو التحصيل العلمي وبناء الذات ثقافيا ، وعلى الرغم من غنى أهلي والحياة المرفهة التي أعيشها ، فأنا مستعدة أن اعيش مع شاب واع ومثقـف أرتاح له في بيت من الطين بل في كوخ . وأفضل ذلك على الحياة التي

يؤمنها لي ذلك الغني ، لان تلك الحياة ليست الا شكليات خاوية من مضامين السعادة .

وهناك العديد من الاصدقاء الذين لهم مساهمات في المسألة الثقافية اعترضوا على مصطلح (مصلحة) واقترحوا عبارة (رغبة ذاتية) أو (حب الذات) ، ولو ناقشنا هاتين العبارتين بشكل مجرد ، فهل هناك فرق في المضمون بين مصطلح المصلحة أو هاتين العبارتين .

وبكل الاحوال من حق أي شاب وأي فتاة تحقيق مصلحته أو رغبته الذاتية ، بشرط أن لا يكون ما تحقق على حساب الطرف الاخر الذي اختير لتحقيق هذه الرغبة الذاتية ، أما اذا تحققت الرغبة الذاتية للطرفين واعتبرا أن ذلك حبا ، فهذا شأنهما ، لكن الحب الذي يختزل بتحقيق رغبة ذاتية ليس حبا .

رابعا ـ الحب :

قلنا في بداية هذا البحث أن علاقة يحكمها العقل توافق فيها التفكير والتوجه والارتياح نسميها حالة انسانية مختارة . لكن لكي تكون هذه العلاقة مكتملة الشروط ونستطيع أن نسميها حبا ، لا بد من البحث عن هذه الشروط وتحديدها ، ليس هذا فحسب بل لا بد من التدقيق في هذه الشروط من حيث امكانية ديمومتها .

بحثنا في التوافق في السن والجمال ، وبينا أهمية التربية والتوافق في التفكير ، واعتبرنا كل ذلك شروطا لا بد من توافرها لنجاح أية علاقة يمكن أن تقوم بين شاب وفتاة . وأضفنا الى هذه الشروط شرط التوافق في ممارسة الجنس لاستقرار الحياة الزوجية . وبعد كل ذلك أصبح بالامكان أن نطلق تسمية حب على أية علاقة بين شاب وفتاة أو اي رجل وامرأة ، اذا ما توافرت الشروط التالية :

١ ــ حرية الاختيار
٣ ــ العقل القادر على الإختيار
٣ ــ الارتيــاح
٤ ــ التوافق في السن
٥ ــ التوافق في الجمال
٦ ــ التوافق في التربية
٧ ــ التوافق في التفكير
٨ ــ التوافق في المنبت الطبقي

لكن هنالك من يقول أن الحب المشروط بشروط محددة ليس حبا لان الحب يمكن أن يتم من النظرة الاولــى و (ياسبرز) الفيلسوف الوجودي يعتقد أن التواصل يخلق الحب ٠ لكن (جان بول سارتر) الفيلسوف الوجودي أيضا يخالف رفيقه في المذهب ، ويقول : لا بد وأن تنتهي أية علاقة حب الى الفشل ، لان العاشق سيحاول السيطرة على المعشوق ، وسينتهي الصراع بسيطرة أحدهما على الاخر ٠ وهذه السيطرة تعني أن احدهما قد حول ذات الاخر الى موضوع لخدمة ذاته ٠

واذا كان لا بد لنا أن نقول شيئا بعد كل هذه الاراء نقول : الذين يعتبرون ان الحب يمكن أن يتم من النظرة الاولى ، يجب أن يأخــذوا بعين الاعتبار أن هذا الحب معرضا للانهيار أمام أي امتحان قد يتعرض له لاحتمالات عديدة منها ، عدم التوافق في أي شرط من الشروط التــي حددناها ٠ وحول التواصل نقول : التواصل شرط ضروري ومهــم لاختيار امكانية التفاهم ، لكنه لا يكفي لخلق الحب ٠

وحول الصراع بين العاشق والمعشوق لانتصار أحدهما علــى الاخر الذي يبدأ بالصراع لينتهي بسيطرة طرف على طرف آخر ليس حبا ، لان الحب يعني الاختيار الحر ، والاختيار الحر يرفض الصراع ، ولا حياة للحب مع الصراع ٠

أخيرا نقول : اذا كان لا بد من الاعتراف بوجود الحب لا بد من توافر الشروط التي حددناها ، ولكي يستمر هذا الحب ، لا بد من مواجهة خطر يهدده ، وهذا الخطر نسميه الملل ، أي ملل أحد الطرفين من الطرف الاخر ، أو ملل الطرفين من بعضهما . والعلاقات القائمة والتي ستقوم بين هذين المحبين والوسط الاجتماعي يلعب دورا مهما في خلق الملل . ليس هذا فحسب ، بل ان تواصلهما الدائم مثل ما يخلق الارتياح والسعادة يخلق الملل أيضا . واذا كان بالامكان ابعاد هذا الخطر في المرحلة الاولى من الحب ، فامكانية مواجهته في المرحلة الثانية ـ أي بعد الزواج ـ تكون قوية من جهة وضعيفة من جهة أخرى ، لكن هذه القوة تختلف عن القوة في المرحلة الاولى . وهذا ما سنناقشه في فلسفة الزواج .

• في فلسفة الزواج

الزواج من حيث الاستمتاع باللذة الجنسية حالة غريزية تشمل الانسان والحيوان . والزواج من حيث الاستمتاع باللذة الجنسية وتكوين اسرة ، وانجاب الاطفال حالة انسانية راقية تطورت مع تطور الوعي الانساني ، ولم تكن معروفة في المرحلة الاولى من تكون الجماعات البشرية . هذا ما أوليناه أهمية خاصة حين عرضنا أهم النظريات التي تناولت تطور الاسرة الموسعة . وما كان سائدا في هذه المرحلة ـ حسب رأي ماركس وانجلز ـ نظام الزواج الجماعي . أما نظام الزواج الاحادي ـ الذي هو موضوع بحثنا ـ فهو النظام الذي رافق مرحلة المدنية خصوصا المرحلة الاقتصادية والمرحلة الرأسمالية ، وخلال تحول نظام الزواج من النظام الثنائي الى النظام الاحادي ، شهد المجتمع البشري شيوع نظام تعدد الزوجات في مجتمعات العبودية والاقطاع . في مجتمعنا العربي يوجد نظام الزواج الاحادي ، ونظام

تعدد الزوجات . ونظام تعدد الزوجات مقر في الشريعة الاسلامية. والى جانب هذين النظامين نجد النظم السياسية المختلفة ، لكن جميع هذه النظم السياسية تستمد قوانينها وتشريعاتها من الدين الاسلامي . والدين الاسلامي يمنع الاستمتاع باللذة الجنسية بالطرق اللامشروعة ، لكن هذا الاستمتاع موجود في مجتمعنا مثل ما هو موجود في كل المجتمعات البشرية . واذا كان مجتمعنا يتميز عن المجتمعات الاخرى بأنه مجتمع محافظ ، فذلك لا يعني أن هذه التسمية متطابقة مع ما هو موجود في الواقع الاجتماعي . واذا لم يكن بالامكان توافر الادلة على ذلك ، فالسبب يعود للكبت المفروض على الجنسين . لكن ممارسة الكبت لا يعني انه يحقق أهدافه ان لم نقل أن الكبت الذي يمارس تكون نتائجه معكوسة وهو الاصح . ويمكن ارجاع كل ذلك للصراع الدائر بين القيم والاخلاق والعادات والتقاليد والتربية . وبين التطور الصاعد في الوعي الاجتماعي والتواصل الانساني . هذا الصراع الذي أحدث فجوة من الصعب تجاهلها الا اذا تعامينا عن رؤية الحقيقة .

القرن العشرين شهد قفزات سريعة في التطور شملت الارض والمجتمع والكون . وهذا التطور انعكس على الوعي الانساني ، وهذا الوعي أفرز قيما ومفاهيم ومبادىء وعادات وتقاليد وطرائق في التربية. وهذا الوعي ولّد أيضا أفكارا ومذاهب فكرية تتساوى في تأثيرها مع المذاهب الدينية وتزيد . لكن الذي ما يزال سائدا تلك العادات والتقاليد والقيم البالية التي لم تعد صالحة لاقناع الجيل الجديد بها ، ليس هذا فحسب بل يطلق المدافعين عن تلك العادات والتقاليد والقيم البالية على ابناء الجيل الجديد بأنهم فاسقين منحرفين شاذين ، متمردين الى ما هنالك من تسميات ظالمة ليس لها ما يسوغها على أرض الواقع ، دون ان يطرحوا بديلا منطقيا يقبله العقل ويتوافق مع الواقع الجديد . لان الدين الاسلامي أجاز الطلاق ، ولان الاهل ما يزالون يلعبون

الدور الرئيسي في اختيار الزوجة للابن والزوج للابنة ، تزداد بنسبة الطلاق يوميا ومن يريد التأكد من ذلك ما عليه الا ان يزور المحاكم الشرعية • ولان العادات والتقاليد والمبدىء الاخلاقية تمنع الاختلاط

والتواصل بين الجنسين تزداد العقد لنفسية عند الجنسين ، ويمضون معظم أوقاتهم يبحثون عن فرص اللقاء • واذا ما تأمنت هذه الفرص تكون تصرفاتهم محكومة بالغريزة أكثر مما هي محكومة بالعقل ، والى الان لم يدرك الاهل أن من المستحيل منع هذه الفرص • واذا كانوا يدركون ـ وهم يدركون بكل تأكيد ـ فالجرأة تنقصهم لمواجهة الواقع الجديد والتعامل معه بعقلانية •

الاستمتاع باللذة الجنسية حاجة انسانية وحيوانية ، وتنظيم هذه الحاجة تطور مع تطور الوعي الانساني • ومن هذا المنطلق عرفت البشرية نظام الزواج الجماعي والثنائي والاحادي ، وما يزال نظام الزواج الاحادي من ارقى حالات تنظيم الزواج •

اذن ، الزواج له وظيفة طبيعية بحث فيها علماء الحياة ، وألفوا بها كتب كثيرة ، وله وظيفة اجتماعية شارك في تنظيمها أساتذة القانون وعلماء الاجتماع • والسؤال الذي يطرح نفسه الان ، هل كان تنظيم الوظيفة الثانية على حساب الوظيفة الاولى ؟ وهل ستطاع أساتذة القانون وعلماء الاجتماع والفلاسفة أن يقللوا من أهمية الوظيفة الاولى ؟

وللاجابة عن هذا السؤال لا بد أولا من البحث في وظيفة الزواج وأشكاله التنظيمية المعروفة والهدف منها •

ـ وظيفة الزواج

تنظيم الزواج في أرقى حالات تطوره يهدف الى ما يلي :

أولا ـ تأمين الاستمتاع باللذة الجنسية بطريقة مشروعة يقرهـــا المجتمـــع :

لكن لكي يتحقق هذا الاستمتاع لا بد من توافر قوة جـذب ، تجذب المرأة والرجل الى بعضهما • ولكي تتوافر قوة الجذب هذه لا بد من توافر شروطها وهذه الشروط حددناها بما يلي :

١ ـ حرية الاختيار

٢ ـ العقل القادر على الاختيار

٣ ـ الارتياح

٤ ـ التوافق في السن

٥ ـ التوافق في التفكير

٦ ـ التوافق في التربية

٧ ـ التوافق في المنبت الطبقي

٨ ـ التوافق في الجمال

وأضفنا اليها شرطا تاسعا هو التوافق في ممارسة الجنس • وعلى الرغم من توافر هذه الشروط الاساسية المهمة والضرورية ، هـــل توافرها يعني ان التزامهما ببعضهما محقق ؟

الالتزام هنا لا يعني استمرار الحياة الزوجية وعدم حــدوث

الطلاق ما نعنيه هنا هل الزوج عاش حياته الزوجية مع زوجته دون أن يقيم علاقة مع امرأة غيرها . وهل الزوجة عاشت حياتها مع زوجها دون أن تقيم علاقة مع غير زوجها ؟ ما نسمعه ونلمسه وتتأكد منه موجود فعلا يتعارض مع ذلك ، وما دامت هذه العلاقات اللامشروعة موجودة فعلا ــ وهي موجودة ــ فماذا يمكن أن نسميها ؟ هل نسميها انحرافا أم شذوذا ؟ أم أنها علاقات طبيعية لها ما يسوغها ؟

نترك الاجابة عن هذه التساؤلات للقاراء ونعتقد أنه لن يعتبرها لا شذوذا ولا انحرافا ، من منطلق أن الحياة الزوجية تترك تراكمات يسببها الزوج والزوجة والاطفال والمجتمع والوضع المادي ، وتولد هذه التراكمات وضعا نفسيا جديدا يولد ملل الزوج من زوجته والزوجة من زوجها . وهذا الملل يدفع الزوج لاقامة علاقات ، اما مع فتاة أو امرأة متزوجة او مطلقة او ارملة ، وتكون الصفات المتوافرة في زوجته حتى من الناحية الفيزيولوجية تفوق كثيرا تلك الصفات المتوافرة مع من أقام معها علاقة ، لكن ذلك لا يعني انه لم يعد مقتنعا بزوجته وباستمرارية الحياة معها . بالعكس يمكن ان تكون علاقته مع زوجته أمتن من أي وقت مضى . وما ينطبق على الزوج ينطبق على الزوجة . واذا لم يكن الامر هكذا فهل كل ما نسمعه ونلمسه ونتأكد منه انحرافا وشذوذا ؟ لا نعتقد أن هذا الحكم دقيقا ولو كان هكذا لشمل حكمنا الغالبية العظمى من الرجال .

حددنا الرجال لسبب واحد فقط هو ان ما هو متاح للرجال ليس متاحا للنساء ولو كان ذلك متاحا للنساء في المجتمعات المحافظة لما حددنا هذا التحديد .

رأينا هذا الذي يعتبر متطرفا ، والذي نعتبره أقرب للموضوعية

يخالف رأي ماركس وانجلز حيث يعتبران « ان الرجل الذي يسيطر على الملكية ووسائل الانتاج يستطيع الزواج من أية امرأة كانت حتى ولو لم تكن راغبة بالزواج منه » من هذا المنطلق لاحظ انجلز « فساد وتحلل علاقات الزواج بين أبناء الطبقة البورجوازية . وانتشرت حالات الخيانة الزوجية والفساد والتحلل الخلقي بين العوائل البرجوازية في المجتمع الرأسمالي . أما الزواج في العوائل البروليتارية فانه في أغلب الحالات لا يعتمد على عامل الملكية والنفوذ الاقتصادي . ولا يعتمد على القوة والجبروت والقهر .. لهذا تندر حالات الخيانة الزوجية والفساد والتحلل الخلقي » .

نحن نقول مع ماركس وانجلز ان الزواج المادي لا يعرف الراحة والاستقرار . لان صاحب رأس المال يعتبر زوجته جزء من ملكيته اشتراها لتحقيق متعته ولان رأس المال جمعه بطرق لامشروعة من خلال جهد وعرق المنتجين حوله الى انسان يفتقر للانسانية . لكن لا نوافق ماركس وانجلز على أن الزواج في العوائل الفقيرة — على الاقل في مجتمعنا — لا يعتمد على القوة والجبروت والقهر . بالعكس قد تجبر الفتاة في مجتمعنا التي هي من عائلة فقيرة ان تتزوج من الرجل الغني ، اما لطمع أهلها واما لتخلف وعيهم ، وهذا ما يحدث كثيرا في مجتمعنا العربي . ومن هذا المنطلق وبما ان مثل هذا الزواج كان قسريا فقد أضيف الى عوامل الخيانة الزوجية عاملا جديدا . وأيضا فان الزواج الذي يتم ضمن اطار العوائل الفقيرة دون أن يكون للزوجة أو الزوج حرية الاختيار ، فاحتمالات الخيانة الزوجية متوافرة ضمن هذه العوائل الفقيرة مثل ما هي متوافرة ضمن العوائل البرجوازية التي صادرت حرية اختيار الزوج أو الزوجة قبل الزواج . لكن الذي لا يمكن ان نختلف عليه هو ان أصحاب رأس المال يمتلكون شروط الخيانة الزوجية

أكثر من الفقراء ، لكن أن نفسر الزواج والخيانة الزوجية من منظور طبقي ففيه شيء من الاجحاف .

ثانيا ــ المحافظة على سلامة النسب :

من نتائج الخيانة الزوجية اختراق سلامة النسب والقلق الذي تسببه الخيانة الزوجية ، قلق على سلامة النسب أكثر مما هو قلق على عدم استمرارية الحياة الزوجية ، اذا ما اكتشفت الخيانة الزوجية ، والقلق هنا يصيب الرجال فقط لان ما يقلق الرجل أن يكون الولد الذي يسهر على رعايته وتربيته ليس ولده . أما لو كان القلق ينحصر بخيانة الزوجة لزوجها لانتهى الامر بكل بساطة وطلق هذا الرجل زوجته ، لان كلمة طالقة تبقى ملتصقة على شفاه الرجل يهدد زوجته بها لاتفه الاسباب . والزوجة التي تخون زوجها لو كان المجتمع والقانون يساويها بالرجل من حيث حقها في الطلاق واستقلالها في العمل والسكن والسهر خارج البيت الى ما هنالك من أمور كثيرة مسموحة للرجال وممنوعة عن النساء ، لما كانت المرأة تسمح للرجل أن يمارس القهر الذي يمارسه ، ولما كانت ترضى لنفسها أن تبقى مع ذلك الرجل الظالم .

أما من حيث القلق فقلق المرأة يختلف عن قلق الرجل فيما يتعلق بالخيانة الزوجية . لان المرأة لا يهمها سلامة النسب كما يهم الرجل وأكثر ما يهم المرأة خوفها من أن تصبح مطلقة ، لان المطلقة محاصرة اجتماعيا ومراقبة أكثر من اي زوجة اخرى ، والنتيجة التي يمكن استخلاصها أنه ما دامت الخيانة الزوجية موجودة وتمارس فسلامة النسب ليست مضمونة للجميع ، ولكي يتخلص الزوج من هذا القلق ليس أمامه الا ان يأخذ زوجته معه أينما ذهب ، او يوصد الابواب

عليها . أو يطلقها اذا راوده أي شعور بأن زوجته يمكن ان تخونه • ونقول لهؤلاء أن ما تفكرون فيه وتمارسونه هو الجنون بعينه . لان المرأة اذا ما التزمت بزوجها وفي بيتها فلن يستطيع أحد أن يلزمها • ولكي يكون هذا الالتزام أقرب للكمال . دققوا في شروط اختيار الزوجة ودققوا في ذاتكم ان كنتم في مستوى الشروط التي تحددونها في الزوجة التي تبحثون عنها . واذا ما تم ذلك فاطمأنوا لسلامةالنسب•

ـ الوظيفة الطبيعية للزواج

التركيب الفيزيولوجي للجسد الانساني يؤكد حاجة هذا الجسد لتفريغ تلك الشحنة التي يسببها ضغط الغريزة الجنسية . واكتشاف هذه الحاجة نبه البشرية لضرورة تنظيمها وتهذيبها . وكان من الممكن أن تفرغ هذه الشحنة من دون تنظيم أو تهذيب من الممكن أن يفرزها الجسد بواسطة الجسد نفسه ، والفترة التي يقضيها الشاب والفتاةمن سن البلوغ حتى الزواج تؤكد هذه الحتمية ، لكن اكتشاف الاستمتاع بها اذا ما تم تفريغها بواسطة تلاقي جسدين ذكر وأنثى دفع البشرية باتجاه تنظيمها وتهذيبها •

والاشكال التي عرفها هذا التنظيم مر عليها مئات القرون قبل أن تعرف البشرية نظام الزواج الاحادي •

والعمل هو الذي صنع الانسان ، وحين اكتشف حاجته له طور وسائله . وترافق هذا التطور مع تطور الوعي الانساني وحاجة الانسان للخيرات المادية دفعته باتجاه تنظيمها . وتنظيم انتاجها زاد من تراكمها . وزيادة تراكمها خلق الحاجة لتسويقها . وهذه الحاجة أفرزت ما يسمى بعلاقات الانتاج وتطور الانتاج • والوعي الانساني أدى الى

صراع بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج • وقبل أن يحتدم الصراع اكتشف الانسان أهمية تكون الاسرة والعائلة لتأمين الحاجة من الخيرات المادية والاستقلال بها • ومن هنا تولدت الحاجة لتنظيم الزواج ، وتنظيم العمل وهذا التنظيم أيضا خلق الملكية الخاصة ، وكانت هذه الملكية الارضية التي تفجر منها صراع الانسان مع الانسان •

ما نهدف من كل هذا التحليل والتركيب والربط تبيان أن الحاجة لاشباع الغريزة الجنسية حاجة طبيعية ، قبل أن تكتشف البشرية أي شكل لتنظيمها . وتنظيمها لا يلغي عنها صفتها الطبيعية وربما كان للحيوانات الدور الرئيسي في تنبيه البشرية لتنظيمها . وربما كان للحيوانات الدور الرئيسي في تنبيه الانسانية لايجاد علاقة بين الرجل والمرأة . وتنظيم هذه العلاقة على طريق تكوين الاسرة وانجاب الاطفال •

من يعتقد بضبط هذه الوظيفة الطبيعية وتنظيمها ومنع ممارستها فهو واهم جدا ، لانها الوسيلة الوحيدة المتبقية لتأمين المتعة الجنسية التي لا يمكن الاستغناء عنها وهذا لا يعني أنها الملجأ الوحيد للذين فشلون في زواجهم أو للذين لم يتزوجوا بعد •

يمكن القول : ان الدقة في الاختيار تقلل من هذه الوظيفة ، لكن ان نعتقد ان الدقة في اختيار الزوج لزوجته . والزوجة لزوجها وتنظيم هذه الحياة . أو أن العقوبات التي حددها الشرع وقوننتها السلطات تلغي هذه الوظيفة الطبيعية ، فاعتقاده هذا يفتقر للدليل والموضوعية •

هناك وسائل عديدة للتخفيف من ضغط الغريزة الجنسية كونها حاجة طبيعية وان كان الزواج أهم هذه الوسائل وأرقاها لكنه ليس الوسيلة الوحيدة المتاحة •

من هذه الوسائل بناء الذات ثقافيا ، وتوجيه الاهتمام الى القضايا الكبرى التي تهم الانسان والانسانية ، وهناك توجيه الاهتمام بالتحصيل العلمي الذي اذا ما ترافق مع بناء الذات فسيخلق هذا الاهتمام من صاحبه عضوا فعالا في المجتمع يكون مهيأ لتقديم خدمات مهمة اذا ما وظف اهتماماته لخدمة انسانية الانسان . والمتعة التي سيعيشها وهو يقدم هذه الخدمات تفوق كثيرا تلك المتعة الناتجة عن تفريغ تلك الشحنة المولدة من ضغط الغريزة الجنسية . لان الانسان اذا ما جند اهتماماته باتجاه تحقيق المتعة الجنسية او كانت أساسا في اهتماماته . فالالم النفسي الذي يعاني منه خلال البحث عن الطرف الذي يحقق له هذه المتعة تفوق كثيرا المتعة التي يمكن أن تتحقق .

واذا كان من وظائف الزواج تحقيق المتعة الجنسية فالالم النفسي الذي يسببه الزواج يفوق كثيرا الارتياح الذي يحققه . من هذا المنطلق نقول يبقى الطلاق هو الملجأ الوحيد الذي يخفف الالم النفسي الذي يسببه الزواج . ولو لم يكن الانجاب وتنظيمه ضرورة لاستمرارية الحياة وبقاء النوع البشري ، ولو كان هناك أي شكل تنظيمي لاستمرارية الحياة أرقى مما هو معروف ، لقلت ان تلك المؤسسة المعروفة بالزواج مؤسسة فاشلة . ومع كل هذا نقول : ان هذه المؤسسة فاشلة فعلا وقد اثبت التاريخ الانساني فشلها .

وأخيرا نقول : ان الطلاق الشرعي أهون ألف مرة من استمرارية حياة بين رجل وامرأة اقتنع أحدهما أنه لم يعد بمقدوره الاستمرار بها حتى لو طلق هذا الرجل أو تلك المرأة ألف مرة . ومن هنا تولد الحاجة للتدقيق في اختيار الزوجة واختيار الزوج ، ومن هنا تتأكد حقيقة أن القرار الذي يتخذه الرجل باختيار الزوجة والقرار الذي تتخذه المرأة باختيار الزوج أهم قرار يمكن أن يتخذه الانسان في حياته .

المحتوى

الاهداء ٣
بطاقة شكر ٥
مقدمة ٧

الفصل الاول

- **الزواج بوصفه ضرورة** ١٩
- **النظريات التي تناولت تطور الاسرة** ٢٥

الفصل الثاني

- **تعرف الطلاق النفسي** ٤٣
- **العوامل المؤدية للطلاق النفسي** ٤٤
  - ـ دور الاهل في اختيار الزوج او الزوجة ٤٥
  - ـ علاقة الزوجة بأهل الزوج ٤٧
  - ـ علاقة الزوجة بأم الزوج ٤٩
  - ـ العلاقة بين اهل الزوج وأهل الزوجة والانعكاسات ٥١
  - ـ الوضع العام للزوجة ٥٣
  - ـ عرض حالة من الميدان الاجتماعي ٥٧
  - ـ الوضع العام للزوج ٦١
- **العلاقة بين الطلاق النفسي واختيار الزوجة من قبل الاهل** ٦٧
  - ـ اكثر الطرق انتشارا لاختيار الزوجة في المدينة ٦٨
  - ـ موقف اهل العريس من الفتاة المثقفة ٧٠
  - ـ الخطبة في الاسلام ٧٦
  - ـ عرض حالة من الواقع الاجتماعي ٧٩
  - ـ وقفة مع ما هو سائد ٨٣

الفصل الثالث

- **الغيرة ودورها في الطلاق النفسي** ٨٩
  - ـ الغيرة ولسان العرب ووقفة نقدية ٩١
  - ـ العلاقة بين الملكية وتعدد الزوجات والغيرة ٩٦
  - ـ العلاقة بين الغيرة والوعي ١٠٣
  - ـ العلاقة بين الغيرة والخيانة الزوجية ١٠٨

الفصل الرابع

● **دور العلاقة الجنسية في الطلاق النفسي** ١١٧
- التوافق في السن ١١٨
- مفهوم الجمال ١٢٥
- التوافق في الجمال ١٣٠
- التوافق في ممارسة الجنس ١٣٧
- العلاقة بين الشاب والفتاة ١٣٩
- العلاقة بين الشاب والمرأة المتزوجة ١٤٠
- العلاقة بين الرجل المتزوج والفتاة ١٤١
- عيوب في الجسد ١٤٢
- عيوب جسدية قبل الزواج ١٤٣
- عيوب بعد الزواج ١٤٧
- الدور الذي يلعبه غشاء البكارة ١٤٨

● **الضعف الجنسي الذي يلعبه في الطلاق النفسي** ١٥٢

● **ماهية الضعف الجنسي** ١٥٨

الفصل الخامس

● **في فلسفة الحب** ١٧١
- الاعجاب ١٧٤
- المصلحة ١٧٥
- الحب ١٧٩

● **في فلسفة الزواج** ١٨١
- وظيفة الزواج ١٨٤
- المحافظة على سلامة النسب ١٨٧
- الوظيفة الطبيعية للزواج ١٨٨

الى القراء الكرام

موضوعات هذا الكتاب منكم ولكم ، استقيتها من معاناتكم . وجهت لكم بطاقة شكر على ما قدمتموه لي من مساعدة وأنا أبحث في الميدان الاجتماعي وفي المحاكم الشرعية عن هذه المعاناة ، على طريق عرضها وتحليلها وتقديم مساهمة تخفف منها .

أشكركم مرة ثانية اذا تفضلتم بابداء ملاحظاتكم واقتراحاتكم واعدكم ان اخصص لها بحثا كاملا في الطبعة الثانية لهذا الكتاب .

دمشق ص.ب ٤٦٩٤ — المؤلف

الزواج حاجة انسانية ، وضرورة لاستمرارية الحياة ولتأمين هذه الحاجة لا بد من توافر شروط موضوعية تضمن للحياة الزوجية السعادة والاستقرار .

في هذا الكتاب نعرض الاسباب التي تؤدي الى الطلاق النفسي الذي يعني أول ما يعنيه علاقة داخلية مدمرة يعيشها الزوج والزوجة ، ونقدم مساهمة على طريق البحث عن الشروط الموضوعية لحياة زوجية هادئة ، ومستقرة وسعيدة بعيدة عن الطلاق النفسي .

المؤلف

مطبعة الفردوس

يخصص من ريع هذا الكتاب : لدعم المقاومة الوطنية اللب

السعر : ٥٠ ل.س